الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كليــة الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكـــرة ماستـر

تقديم الطالبة: بوصلاح نور الهدى

ميدان: لغة وأدب عربي

شعبة: أدب عربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

الخطاب الديني بين التقديس والتدنيس
رواية "الورم" "لمحمد ساري" أنموذجا

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
– هامل بن عيسى	– أستاذ التعليم العالي	– رئيسا
– فاطمة مختاري	– أستاذة التعليم العالي	– مشرفتا ومقررتا
– ميهوب جعيرن	– أستاذ التعليم العالي	– مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إن الحمد والشكر لله وحده بداية ونهاية على توفيقه وتيسيره لنا سبيل العلم لنتبعه، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة فاطمة مختاري على صبرها علينا أولا وجديتها على متابعة هذا العمل وحرصها على أن يرى النور في أحسن حال، ونشكر أيضا كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة عمار ثليجي بالأغواط وجامعة الحاج لخضر بباتنة على نصائحهم القيمة دائما، كما نشكر كل من قدم يد العون لنا سواء من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى سندي منذ طفولتي ولا يزال، إلى من أشعر بجانبه بالافتخار، إلى من لا يضاهيه أحد في الوجدان أبي الغالي "مسعود"،

إلى التي لازالت تمطرني في ضمير الغيب بزخم من دعواتها الخالصة، إلى معنى الحب والحنان الى بسمة الحياة وسر الوجود الى من كان يعانقها سر نجاحي وبلسم جراحي أمي الحبيبة "فطيمة".

إلى الذي معه عرفت معنى الحياة، إلى سندي الذي بثّ في نفسي روح الاجتهاد والعمل، إلى من تقاسم معي عناء البحث وتحمّل كل الصعاب لأجل أن يراني ضمن الناجحين والمتوفقين بإذن الله زوجي العزيز "عبد السلام".

الى من أرى التفاؤل بعينيها والسعادة في ضحكتها الى شعلة النور الى الوجه المفعم بالبراءة ابنتي وروحي "رشا"

إلى نبض القلب وفداء الروح إخوتي وأخواتي إلى أزواجهم وذرياتهم

إلى عائلة زوجي الكريمة وأبنائهم جميعاً.

مقدمـــة

تُعد الرواية من أحدث الأجناس الأدبية التي ارتبط اسمها بِتَبَنّي قضايا الواقع لِمَا تمتلكه من إمكانات سردية وجمالية، فهي مغامرة إبداعية تهدف للكشف عن الواقع والتعبير عن حياتنا بما تطرحه من قضايا شائكة تمسّ الإنسان وتاريخه وعصره ووجوده وحياته واعتقاده.

أمّا القارئ فيعمل على التفاعل مع ما تطرحه الرواية من قضايا، كما تدفعه إلى تبنّي موقف فكري منها وذلك عن طريق طرح الأسئلة على ما هو سائد من مفاهيم وإعادة النظر فيها بطريقة فنية اعتمادًا على السرد.

في الجزائر لم تكن الرواية بعيدة عن الواقع وقضاياه فقد سايرت الرواية مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع عبر مراحله التاريخية فقد صُبغت بصبغة الثورة ضد الاستعمار في بداية ظهورها، ثم سايرت النظام الاشتراكي في فترة السبعينيات وما بعدها، ودخلت فيما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة ونضال وانهزام فترة التسعينيات، إذْ انطلق الروائيون من الواقع الذي عاشوه وعايشوه في زمن الأزمة، فاصطلح عليه "أدب الأزمة" و "العشرية السوداء" و "سنوات الدّم والنّار" و "سنوات الجمر" و"أدب المحنة".

وقد عكست هذه الظروف كتابة مغايرة بوعي جديدة ورؤيا ناضجة وتجربة ثرية لدى الروائي الجزائري لما يحدث من قضايا حوله أثّرت بعمق في توجهاته الإبداعية وانعكست في كتاباته الروائية، ومن الموضوعات التي تناولتها الرواية الجزائرية فترة التسعينيات وما بعدها موضوع الخطاب الديني المتطرف الذي كان سبباً مباشرا في الأزمة التي شهدتها الجزائر، فتحول النص الروائي الجزائري إلى نص يرصد الصراع الإيديولوجي الحاصل في المجتمع ويعالج الهموم الاجتماعية، فانزاحت بذلك النصوص الروائية من اللغة إلى الإيديولوجيا، فأصبح الهم الاجتماعي هو المسيطر على اللغة الفنية.

انطلاقا ممّا سبق وقع اختيارنا على رواية عكَسَ صاحبها الازمة التي مرّت بها الجزائر في التسعينيات، إنّها رواية "الورم" لصاحبها "محمد ساري" التي تناول من خلالها أزمات الوطن وانكساراته ووجع الواقع الاجتماعي والتعفن السياسي الذي عاشته الجزائر، ومجمل الاضطرابات والفوضى التي شهدها المجتمع آنذاك.

من خلال هذه الرواية حاولنا رصد الخطاب الديني بمختلف أبعاده الاجتماعية والسياسية، وسوء استغلاله من قبل الجماعات المتطرفة لأهداف معينة ومن هذا المنطلق اخترنا أن تكون هذه الدراسة موسومة بـــ **"الخطاب الديني بين التقديس والتدنيس رواية "الورم" لمحمد ساري أنموذجا"**، وقد جاءت هذه الرواية تلبية لعدة أسباب وهي:

الأسباب الذاتية: – محاولة الكشف عن بعض جوانب الخطاب الديني والنظر في الأسباب التي جعلت الناس لا يفرقون بين نوعيه (المعتدل والمتطرف) مع العلم أن كليهما يستمد مرجعياته من مصادر التشريع الإسلامي.

–التساؤلات الدائمة حول موضوع الخطاب الديني أُسيء فَهمه واتُّخِذَ ذريعة للتمرد نظراً لتعلّق النفوس به فأحكامه مُستمَدة من التشريع الإسلامي، وقد حاولنا رصد نظرة الجماعات المسلحة له وكيفية تطبيقِهم لمضمون هذا الخطاب خدمةً لمآربهم السياسية.

الأسباب الموضوعية:

–عدم التمييز بين "النص الديني" بوصفه مقدسا و"الخطاب الديني" بوصفه إنتاجا بشريا يحتمل الصواب والخطأ مما جعل الكثير ينفرون من هذا الأخير.

–التطلع لمعرفة آفاق الدين في تحصينه للمجتمع الإنساني وتسوية الاعوجاج والشوائب التي تسوده في كل زمان ومكان.

أما سبب اختيارنا لهذه الرواية هو أنها رواية جريئة، بَنَتْ غالبية أحداثها على وقائع حقيقية جرت بالفعل مما جعلها تلامس الواقع في نقاط جِدُّ حساسة، تساعد كل من القارئ والدارس على كشف المستتر في كتابة أفرزتها هذه الأزمة الدامية التي عاشتها الجزائر منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي؛ ولدراسة هذا الموضوع انطلقنا من إشكالية الخطاب الديني التي تفرعت عنها مجموعة من التساؤلات وهي:

1–ما هو الجديد الذي قدمته رواية "الورم" مقارنة بالنصوص التي أفرزتها الأزمة الدامية؟

2–كيف تجلت الأزمة الوطنية في هذا النص الروائي؟

3–ما هو سبب تحول الخطاب الديني من وجهة نظر الكاتب؟

4–ما هو أثر الخطاب الديني على المجتمع الجزائري؟

5–ما هي تمظهرات هذا الخطاب في الرواية "موضوع الدراسة"؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها اقتضى الحال وضع خطة تشتمل على مدخل وفصلين، في المدخل حاولنا الإحاطة بالمفاهيم النظرية التي يتمحور عليها الموضوع المدروس، أما الفصل الأول فكان محطة لكل ما يتعلق بالخطاب الديني بشَقَّيه السوي والمتطرف من أهمية ومرجعية، وتبنِّي الأعمال الروائية له أيضا؛ أما

الفصل الثاني فكان تطبيقيا حاولنا من خلاله الإحاطة بسائر ما جاء في رواية "الورم" والذي ارتكز على الخطاب الديني بنوعيه، بداية من قراءة في العنوان ثم جدلية الشخصيات والمكان ثم تبعات تدنيس الخطاب الديني، لِنَخْلُص في الأخير إلى خاتمة تَعْرِضُ أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال هذا البحث.

وقد اتبع البحث منهجا أساسيا هو الوصفي القائم على التحليل الذي ساعد في تفكيك الغموض الذي يعتري الخطاب الديني وكيفية ظهور المتطرف منه، والذي ساعد أيضا في تحليل العمل السردي "لمحمد ساري" والتوصل إلى النتائج المذكورة في آخر البحث.

وكان اعتمادنا في هذا البحث على رواية "الورم" لمحمد ساري كمصدر أساسي في الدراسة إضافة إلى مراجع أخرى متنوعة من كتب ومعاجم ومجلات ودوريات وأطاريح دكتوراه ومواقع إليكترونية وأهمها: سعيد يقطين في كتبه الثلاثة "الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث"،" تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير "و" انفتاح النص الروائي (النص والسياق)"، حسن الصفار "الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان"، أحمد المتوكل "الخطاب وخصائص اللغة العربية"، بسطامي محمد سعيد "مفهوم تجديد الدين" وغيرها من المراجع.

والهدف من هذه الدراسة هو الغوص في عمق الأزمة التي عاشتها الجزائر، لاستكشاف الخبايا وراء تدنيس الخطاب الديني، ومحاولة نقل النتائج التي ترتّبت عنه محاولة منّا للإجابة على الكثير من الأسئلة التي بقيت عالقة في أذهان الكثير منّا حول الموضوع.

وكأي بحث واجهتنا العديد من الصعوبات منها: الوضع الصحي الحساس الذي نمر به، وكمية المخاطر المحيطة بنا مما أعاق عدّة عمليات تواصلية، سواء في جمع المراجع أو الاستفسار عنها، يضاف إلى ذلك حساسية التعامل مع الموضوع حيث أن الخطاب الديني يشتمل على نصوص مقدسة لا يمكن المساس بها كما لا يمكن التصرف في مضمونها، وأذكر أيضا صعوبة الحصول على رواية "الورم" التي كانت جدُّ نادرة.

وقد حاولنا قدر المستطاع إعطاء الموضوع حقه من الدراسة، والشكر موصول للأستاذة المشرفة على ما قدمته من ملاحظات وإرشادات للباحثة أسهمت في تعديل البحث وخروجه بأفضل صورة، فلها مني جزيل الشكر وخالص العرفان.

مدخل:

مفاهيم اصطلاحية

أولا: ماهية الخطاب

1. مفهوم الخطاب
2. أنواع الخطاب

ثانيا: الخطاب الديني "المفهوم، الأهمية، الأقسام"

1. الخطاب الديني
2. أهمية الخطاب الديني
3. أقسام الخطاب الديني

ثالثا: النص الديني والخطاب الديني

1. مفهوم النص الديني
2. الفرق بين الخطاب الديني والنص الديني
3. مرجعيات الخطاب الديني

أولا: ماهية الخطاب

1.مفهوم الخطاب (Discours):

وردت في القرآن الكريم مشتقات " خَطْب " تسع (9) مرات وورد لفظ " خطاب " ثلاث (3) مرات، والذي يعنينا منها الآن مما يناسب المقام هو قوله تعالى في سورة ص: (وشدَّدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاه الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ) (الآية 20) ونلاحظ في سياق وُرُودِ لفظ "الخطاب" في هذه الآية الكريمة أن الخطاب مقرون بالحكمة.[1]

ومن هنا يسعنا النظر ورمي حبال التفكير العميق في الآية السابقة لأنها أخرجت لفظة الخطاب من قوقعة القالب اللغوي باعتباره آلية تواصل بين الأشخاص، وَعَلَتْ به إلى أسمى المعاني وأرقاها أي إلى الحكمة والتي تمثل مصدر الحق في تدبير الأمور ومجاراتها على حسب الموعظة الحسنة.

ولقد ذُكر أيضا لفظ الخطاب في القرآن الكريم في مواضيع عدة وبصيغه متنوعة، فجاء بصيغة الفعل كما في قوله تعالى﴿ وإذا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[الفرقان: 63]، وجاء بصيغة المصدر كما في قوله تعالى (وشدَّدنا مُلْكَه وآتيناه الحكمة وفصل الخطابِ) سورة ص الآية 20.

فمدلول الخطاب عموما جاء في نطاق التكليم والمحاورة ولكن لتنوع مدلولاته ذات المقاصد المتنوعة تنوع السياق الذي ورد فيه لفظ الخطاب.

المصطلح ليس بالجديد وإنما هو مصطلح عريق يلبس من كل عصر حُلَةً جديدة فكل دارس وبَاحِثٍ يدرسه على حسب عصره وأوانه لكن هذا لا ينفي العودة إلى جذور هذا المصطلح في الثقافة العربية والغربية، فمصطلح الخطاب " من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات يحيل إلى نوع من التناول للغة أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد" [2]

1. محمد عبد الفتاح عمار. الخطاب الديني تجديد لا تبديد وتطوير لا تحريف. كنوز للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط1. 2017.ص16.

2. دومينيك مانغونو. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب. تر محمد يحياتن. منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة. الجزائر. ط1. 2008. ص 38

فالتشكيل اللغوي داخل الخطاب هو النشاط المسير له وذلك ضمن السياقات والتوجيهات التي يؤول إليها، وهو أيضًا "حوار ذو طبيعة رسمية بصفة خاصة، والتعبير الفصيح والمنظم عن الفكر شفاهة أو كتابة، وأيضا يكون في صورة موعظة أو مقالة ...إلخ، فقرة أو وحدة من حديث متصل أو نص مكتوب."[1]

فكلمة الخطاب تحيل دائما إلى أنها وحدة لغوية مشكلة لغرض التفاعل أو التواصل بين أطراف معينة من الناس، حيث يقول جوفري ليتش (Geoffrey Neil Leech) ومايكل شورت (Michael Shortt) مثلا " الخطاب تواصل لغوي ينظر إليه باعتباره عملية تُجرى بين متكلم ومستمع، أو تفاعل شخصي يحدد مشكلة فرضه الاجتماعي " [2]

ويبقى للخطاب آراء عدة وتعاريف عديدة تختلف باختلاف دارسيه وربما تكون هذه التعريفات متضاربة في الفروع لكنها متشابكة من الأساس وكأن منبعا واحدا هو من أنتجها وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حجم المصطلح ومدى تشعّبه واتساعه، فلا يمكن التقليل من تكاثر هذا المصطلح ولا يمكن وقفه في دلالات معين.

الخطاب هو فعل التلفظ من طرف متكلم وفق صياغة ونظام ما، قصد التأثير في الطرف الثاني، ألا وهو المستمع، وهو "الوعي البياني عند علماء الكلام والأصوليين عموما (...) يعرف الخطاب بأنه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم." [3]

" نقصد بصيغ المخاطبة جملة العبارات التي تكون في حوزة المتكلم ليشير إلى مخاطبة بينما بإمكان صيغ النداء أن تدل على الغائب وحتى المتكلم." [4]

عرّفه هاريس(Harris) بأنه "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض."[1]

1. سارة ميلز. الخطاب. تر عبد الوهاب علوب. المركز القومي للترجمة. القاهرة. مصر. ط1. 2016. ص 14.
2. المرجع نفسه. ص 15.
3. زياد بوزيان. الرواية الجزائرية الجديدة، نقد الخطاب الديني، رواية الغيث لمحمد ساري أنموذجا. ص 4.
4. شارودو. ومنغونو. معجم تحليل الخطاب. تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود. المركز الوطني للترجمة. تونس. د ط.2008 ص33.

أما بنفست (Émile Benveste) فعرف الخطاب باعتباره "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل." [2]

ونجد أصحاب معجم اللسانيات 1973 يقدمون لنا ثلاثة تحديدات للخطاب، فهو "أولا يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة، وهو هنا مرادف للكلام بتحديد ديسوسور، وهو ثانيا يعني وحدة توازي أو تفوق الجملة، ويتكون من متتالية تشكل مرسَلة لها بداية ونهاية وهو هنا مرادف للملفوظ، أما التحديد الثالث فيتجلى في استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظورا إليه من وجهة قواعد تسلسل متتالية الجمل." [3]

2.أنواع الخطاب:

بما أن اللغة هي الركيزة في تأليف الخطاب كقالب أو كوحدة متماسكة جاهزة للهضم الفكري فإنها كفيلة في الإحالة إلى تحديد هوية هذا الخطاب أو المؤسسات التي ينتمي إليها او الموقف الذي ينبع منه، فاستقرار البنية اللّغوية على سياق معين يحيلنا إلى معرفة نوع الخطاب وكذا اتساع حيز المواضع التي تحتاج للخطب وتحتاج إلى تفاعل غرض الإقناع في زَمَنٍ بات فيه الآخذ والمناقشة العلمية هما الرائدان في الساحة، إذ أصبح التأثير في الرأي العام من الصعوبات المنشودة لتفكيكها، لذا تعددت أنواع الخطب بتعدد أنواع الخطاب للتأثير في آراء الناس وإقناعهم بشكل أكبر وأسهل، وقبل الغوص في مضمون هذا الموضوع يجب أن نشير إلى أنه قبل الكشف على أنواع الخطاب يجب أن يمر بمرحلة تحليل له، أي تحليل الخطاب باعتباره أساساً لهذه العملية، حيث أن مصطلح تحليل الخطاب نعني به "توسيع الطرق التقليدية لتشمل ما فوق الجمل من وحدات."

ولقد تعددت دراسات تحليل الخطاب وتنوعت بشكل واسع، حيث نجد الحواجز بين أنواع البحوث والعلوم قد تلاشت وسقطت وهذا يعود إلى التفاعل المختلف القائم على تعدد تيارات تحليل هذا الخطاب

1. سعيد يقطين. تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط3. 1997. ص17.
2. المرجع نفسه. ص19.
3. المرجع نفسه. ص 21.

وهو ما زاد الأمر تعقيدًا في إمكانية الفصل في هذا الموضوع، "حيث يقترح التنميط التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفا منطلقا فيه من أحد المعايير التالية الموضوع والآلية والبنية." [1]

أ. من حيث الموضوع:

هنا تتصنف الخطابات من حيث الموضوع الذي تتناوله أو الحيز الموضوعاتي الذي ينتمي إليه هذا الخطاب، فتقترن تسمية ذلك التضمين الموضوعي مع لفظة الخطاب أثناء هذا التصنيف فنجد مثلا: خطاب ديني، خطاب سياسي، خطاب فلسفي، خطاب اجتماعي... إلخ.

ب. من حيث الآلية:

هنا يصنف الخطاب من حيث التجسيد الداخلي للبنية اللغوية فنجد خطاب سردي وخطاب وصفي وخطاب حجاجي أي التصنيف هنا يتم على حسب طريقة توظيف اللغة وتقنيتها المشغلة داخل الخطاب.

ج. من حيث البنية:

هنا نستطيع تمييز نمط الخطاب من حيث الموضوع والشكل الخارجي له فنجده مصاغًا على شكل خطاب فني، أو إبداعي، أو أدبي إلى قصة أو أقصوصة أو قصيدة أو رواية ... إلخ.

" يمكن الاحتفاظ بهذا التنميط لاشتهاره وكثرة تداوله شريطة أن تؤخذ بعين الاعتبار مسمياته الثلاثة مَفْتُوحِيَتُهُ وَدَرَجِيَتُهُ وفَرْعِيَتُهُ." [2]

ثانيا: الخطاب الديني "المفهوم، الأهمية، الأقسام"

1.مفهوم الخطاب الديني:

مهما اقترن لفظ الخطاب بأي لاحق لفظي فإنه يتمسك بشيء من جوهره الأساسي في التعريف وذلك كي يتم تكملةُ التعريف ضمن دعائم معرفية لهذا المفهوم وهذا هو الحال لمفهوم الخطاب الديني، حيث أنه همزة الوصل التي جمعت بين الخطاب ومجال الدين جعلت بينهما خطابا متفردًا، فقبل التعريف بهذا

1. أحمد المتوكل. الخطاب وخصائص اللغة العربية. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة. الجزائر. ط1. 2010. ص 25.
2. المرجع نفسه. ص 25.

المصطلح يجب الإشارة إلى أن الدين المقصود هنا والمقترن بالخطاب هو الدين الإسلامي قطعا " حتى وإن كان يسمى الخطاب الديني غير الإسلامي خطابا دينيا كالخطاب الديني النصراني واليهودي ... الخ." [1]

فكلٌ له دينه وكل يَحِقُ له أن يسمى الخطاب المتعلق بدينه خطابا دينيا، " لأنه يراد به ما يصدر عن رجال الدين من أقوال أو نصائح أو مواقف سياسية من قضايا العصر، ويكون مستندهم فيها الى الدين الذي يدينون به." [2] ولكن ما يهمنا هنا هو الخطاب الإسلامي أي المستنبط عن الدين الإسلامي لكل فحواه.

بما أن الخطاب الديني يَخْضَعُ لما يسمى "بالدين" فهو بالضرورة ذا قيمة مثالية، لأن المرجع الذي يستند إليه يعتبر جوهرا مطلقا لا يخضع لتعاليم الزمان أو المكان، كما أنه ليس خاضعا لأي تدخل إنساني يؤوله إلى التحريف، كما أنه بسيط وقابل للتأويل والشرح والفهم في آن واحد وما يعطي هذا الأخير أي "الدين" أبرز مميزاته هو تماشيه مع تغير إحداثيتي الزمان والمكان مما يغير من طبيعة الفكر والمعتقدات وكذا نظرة الإنسان لكل شيء يدور حوله، فالخطاب الديني " هو المنظور البشري للدين، وكيفية تطبيقه في حياة الناس." [3]

وهنا المقصود بالخطاب الديني هو ذلك الفكر أو المفهوم الذي يستنتجه عالم الدين أو الفقيه من الدين بحد ذاته ويعيد صياغته ويقلبه إلى خطاب؛ ربما وعظي أو إرشادي أو تنويري أو غيره وذلك حسب مفهومه وتلقيه لذلك الاستنتاج من النص الديني أو الدين، وهذا الفهم يتغير بتغير علاقة الناس بالدين وعلاقة المجتمعات به أو نسبة تقبلهم له، لأن اختلاف عملية الفهم تحتم عملية الاختلاف في التلقي والتجاوب معها، وهذه الظاهرة أساسها مرجعيتها تتمثل في الفلكلور الشعبي الذي تتم فيه. [4]

فغالبا ما تكون عادات وتقاليد شعب ما تتنافى مع تعاليم دينية معينة، فالطبيعي هنا يتم تأويل النص الديني إلى ما يناسب ذلك، إما بالتنوع اللفظي للكلمات في اللفظة الواحدة، حيث يختار من عديد الشروح ما هو مناسب لهم، أو يعيد ترجمة المفهوم كله إلى ما يناسب تلك العادات أو تلك المعتقدات فنجد هنا أبرز مثال حي هو الفروق المتواجدة بين التأويلات الدينية للسنة والشيعة.

1. محمد عبد الفتاح عمار. مرجع سابق. ص 16.
2. زياد بوزيان. الرواية الجزائرية الجديدة ونقد الخطاب الديني. مرجع سبق ذكره. ص 5،
3. النعمي حسن محمد. الخطاب الديني في الرواية السعودية. دار المنظومة. مركز عبد الرحمان السديري. ع35. 2012.ص 32.
4. ينظر إلى المرجع السابق نفس الصفحة.

ولإنشاء الخطاب الديني يجب أن يكون هناك ما يسمى بالصدق، لأن هذا الخطاب يعد مثل الأمانة فصلاحه ينتج من التفاعلات أمورا صالحة أما فساده وتدنيسه يفعل العكس تماما حتى وإن كانا تحت نفس العنوان المتمثل في الخطاب الديني، لأن التأثير ضمن صلاحيات الخطاب " فهو تحويل النص من صفته المجردة إلى صفته الفاعلة في حياة الناس." [1]

"يرى الكثير من المفكرين المعاصرين أن الخطاب الديني لا يخرج من كونه خطاب الدعاة والوُعاظ والخطباء والمفتيين والباحثين حيث يقدم لجمهور الناس على أنه الوصف السليم والفهم الصحيح للإسلام في عقيدته ونظامه الأخلاقي وآدابه وشريعته." [2]

أي أن الخطاب الديني مثل القالب يصوغ من مضمون الإسلام وأنظمته شكلا دلاليا أبسط وأوضح للفهم والاستيعاب دون المساس أو الإخلال بالرسالة التوعوية له، كما أن الخطاب الديني " فن من فنون القول، ووسيلة من وسائل التأثير وفن من فنون تلقين المعرفة الدينية، وطريقة من طرائق تحريك الوعي عند المتلقي، وهو كذلك عملية تربوية توجيهية أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية." [3]

فالخطاب الديني يعتبر نوعا من أنواع الاتجاهات الإسلامية التي يستطيع بها المرء إيصال رسائل توعوية معبرة تنبثق منها جميع القيم العلمية والدينية وذلك بطريقة حضارية أكثر مما يسمح للمسلم بتحصين المواعظ واكتسابها بفهم عميق لها، كما يسمح لغير المسلم بإلقاء نظرة موضوعية حول السمات والدعائم الأساسية لجميع الأفكار والمحاور الدينية المراد توصيلها لأن " الخطاب الديني هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم، والمنهج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم ومواقفهم." [4]

2.أهمية الخطاب الديني:

بما أن الخطاب الديني نهر منبثق من بحر القرآن والسنة فإنه بالضرورة سوف يملأ جب الفكر والعقول بما ينيرهم ويرشدهم، فضرورة التبليغ هي وظيفة المرء في كل عصر، حيث إيصالها بمضمون صحيح وكامل ينشئ

1. المرجع نفسه. ص 32.
2. محمد عبد الفتاح عمار. مرجع سابق. ص17.
3. محمد رزق شعير ونهى كمال سليم. أثر الخطاب الديني في التوعية الفكرية. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية. مجلة علمية دولية محكمة. ربع سنوية. المركز الديموقراطي للدراسات السياسية والاقتصادية. برلين. المانيا. عدد 10 نوفمبر 2019. ص 12.
4. المرجع السابق ص 14.

نبراسا وهاجا تستنير به جميع الفئات والأجناس، حيث أن الدعوة للاقتداء بالرسول صل الله عليه وسلم يعد أسمى سبل البلاغ ومنه:

- الخطاب والتبليغ هو سبيل الأنبياء والصالحين.
- الخطاب والتبليغ طريقة الخلاص للعالم.
- التبليغ أعظم وظيفة ينال شرفها من وفقه الله.
- الخطاب الديني هو أساس التبليغ لدين الله تعالى والدرب الوحيد لتوصيل الرسالة.
- الخطاب الديني يعتبر تكليفا ربانيا لعباد الله الصالحين. [1]

وهذا الأخير يُنظِّم كل أهميات الإنسان، فإن من استقامة هذا الخطاب تنتج استقامة الناس، وإذا تزحزح هذا الأخير يمكن إلى حد كبير أن يشكل خطرًا كبيرًا على الدين والواقع العقلي والفكري والروحي والأخلاقي والحياتي، باعتبار الخطاب الديني عبارة عن أفكار وملاحظات وربما أعمال سواء أعمال مكتوبة أو منظومة وجب تبليغها للتوصلّ إلى أهميتها قال تعال﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا٣٩﴾[الأحزاب: 39]

فهذه الآية تتحدث عن الأنبياء ورسائلهم لأنهم وحدهم من يمتلكون مسؤوليات التبليغ لدين الله، لكن هذه الحملة التي أنشأها أهل الدين والمعرفة تحت شعار التوعية والمعنونة بالخطاب الديني أتت كامتداد لرسالات الأنبياء والرسل ودعواتهم، قال الله تعالى﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ١٠٤﴾[آل عمران: 104].

وهذه الدعوة بلا شك لديها العديد من الواجبات نحو المجتمع وأفراده ونذكر منها ما هو بارز بشكل ملحوظ في عدة نقاط وهي:

- حماية العقيدة الإسلامية وحماية عقول الأبناء والشباب من الفكر المتطرف
- نشر حقيقة الإسلام وما فيها من الرحمة والتسامح

1. ينظر محمد رزق شعير ونهى كمال سليم. أثر الخطاب الديني في التوعية الفكرية. مرجع سبق ذكره. ص 15 . 16.

- إعادة هيكلة الوعي الديني لدى الفئة الناشئة من المجتمع
- الخطاب الديني يقوم بتعرية التطرف وأفكار المتطرفين ودحض الشبهات والمراكز المعرفة له انطلاقا من العقيدة السمحة وكذا يدعو إلى الاعتدال والوسطية
- يحارب العنف والفتنة ويرفض الشغب والانقلابات باستغلال الظروف التي تعاني منها الأمة الإسلامية.

ومن هذه النقاط نجد ان الخطاب الديني المعتدل والمستنبط من مرجعية دينية صحيحة يمثل صمام الأمان في أي بلد ينتشر فيه لأنه يشكل سندًا منيعًا أمام محاولات الاضطهاد والتطرف كما أنه يمثل أكبر حافظ لحقوق الإنسان.

3.أقسام الخطاب الديني:

أ.الخطاب الديني التعليمي(التفسيري):

(تفسيري) "يفترض فيه أن يكون المرسل أو الملتقي في حالة افتقار علمي باعتبار أن المتلقي خالي الذهن من المعرفة، لهذا فهو يقبلها منطقيا، وفق قدرات المرسل في التأكيد والإقناع." [1]

وهذا التقسيم للخطاب الديني مشروط بالحاجة التي يلبيها، وهذا ما يستدعي في الخطاب ما يسمى بالمقام والمقصود منه "الأساس الذي يتم بفعله تصنيف الخطاب أو إنشاؤه، فنجد مثلا أن التعليم انبثق منه الخطاب الديني التعليمي، حيث يحصل فيه تدرج بين طرفي الخطاب بين متلقٍ وآخر، وذلك يحدث بفعل الاقتناع والرضا والقبول بفكرة التفاوت بين الطرفين (المعلم والتلميذ) وفي هذه العلاقة لا حاجة لحضور الحجاج لأن موقع الخطيب هنا هو التوجيه والإرشاد، أي علاقة عطاء وتقبل فيشمل العطاء هنا الأمر والنهي والعرض والتأكيد." [2]

---

1. بهجة أومودان. الاستعارة في الخطاب الديني (دراسة سميائية تداولية) . أطروحة لنيل شهادة دكتوراه. جامعة مولود معمري. تيزي وزو. 2019،2018. ص167.

2. عبد الباسط ضيف. بلاغة الخطاب الإقناعي عند محمد العمري. مجلة إشكالات اللغة والادب. مجلد 09. عدد 02 سنة 2020 ص 512.

وهنا يتجسد ما يسمى التفاعل التكاملي الذي يحدث بين فردين يحتل الواحد منهما الموقع العالي في حين يكون المشارك الثاني في التفاعل في الموقع السفلي، حيث يأخذ هذا الأخير ويتعلم من الطرف الآخر مثل " المعلم والتلميذ" أو "الطبيب والمريض"، وليس بالضرورة أن يكون الشخص هو الذي حدد نوع الطرف بل الموقع هو الذي يفرض ذلك، فكل شخص متمكن في مهنة معينة أو مكانة معينة تحيله إلى المرتبة الأعلى.

ب.الخطاب الوعظي:

ويكون فيها "المتلقي في وضع غفلة وتناسي، فيتطلب الحال الحث على العمل والتخويف." [1]

والإحالة هنا تكون للخطاب الديني في إمكانية تجسيد وفناء المغريات الدنيوية والبقاء والخلود في الآخرة ومدى شدة العقاب للمفسدين والخارجين عن مِلَّة محمد صلى الله عليه وسلم. ويحسب الخطاب الوعظي ضمن مقام الوعظ فهو بالنسبة للمقام الأول " مقام التعليم" مختلف تمامًا لأنه يخرج من دائرة إصدار المخَاطِب للمعارف وتقلبها من طرف الُمخَاطَب والتفاعل معها، ويدخل ضمن إحداثيات جديدة للخطاب فهو يقصد المخَاطَب بصورة مباشرة لإخراجه من حيز النسيان والسهو والغفلة وذلك بحجتي الترغيب والترهيب أي بذكر المحاسن والثواب لأصحاب العمل الصالح وذكر العقاب والعذاب في إتباع ملذات الدنيا وملاهيها والخضوع لها وخير مثال في هذا المقام هو أصحاب الزهد في بدايات ظهور الإسلام حيث الفكرة الجوهرية في خطاباتهم هي فناء الدنيا وعبورها وأنها عبارة عن مدة زمنية أتيحت للإنسان كي يكسب منها ويتزود للآخرة. [2]

أما الطرق الترهيبية التي شاعت في الخطاب الوعظي هي الإكثار من ذكر فساد أحوال الناس والتذكير بما مضى من الأمم وغفلتهم فنجد الكثير من القصص الوعظية في القرآن الكريم كشاهد لهذا الموقف الترهيبي مثل ذكر قصة قوم لوط وكيف جزاهم الله في الدنيا قبل الآخرة في قوله تعالى﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ٨٢﴾[هود: 82].

1. بهجة أومودان. الاستعارة في الخطاب الديني. مرجع سابق. ص167.
2. ينظر عبد الباسط ضيف. بلاغة الخطاب الإقناعي عند محمد العمري. مرجع سابق. ص 513.

وقوله أيضا﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ١٧٢ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ١٧٣﴾[الشعراء: 172-173].

فهذه الأمثلة تعد كحجج للخطاب الديني الوعظي فهي داعمة جدا لهم كما أنها تؤتي من النتائج أحسنها.

ج. الخطاب المناظراتي:

"يعد شكلا من أشكال الخطاب الديني، يعتمد فيها على الحجج العقلية للمخاطب قصد الإقناع." [1]

ويسمى "بالتفاعل التناظري حيث يكون بين فردين بنفس القدر من المعرفة أو العلم حيث يكون هناك أخذ ورد بنفس المستوى فتسيطر الفكرة المقنعة أكثر على الوضع، فيدخل بذلك إلى ما يسمى بمقام المناظرات إذ يحتل الحجاج وآلياته المستوى الأول فيه، وهذا ما يحيل كل طرف إلى تعددية استعمال طرق البرهنة والتبرير مما يستدعي من المتلقي أن تتوفر فيه نفس الكفاءة الموجودة عند الطرف الآخر من الخطاب وذلك لضمان وصول الرسالة في إمكانية تأويلها وعدم ضياع المقاصد المنشودة وإدراك الحجج التي يحملها المخاطب." [2]

وكل هذا وما سبق يدرج ضمن خانة واحدة هي أن الخطاب الديني وأقسامه كلها مرتبطة بنوع التفاعل المنشود وعنصر الإقناع فيه.

ثالثا: النص الديني والخطاب الديني

1.مفهوم النص الديني:

بالرغم من أن النص والخطاب متصلان اتصالاً وثيقًا ببعضها البعض إلا أن اقتران كل منهما بلفظة الخطاب جعل لكل منهما منحنى آخر ومدلولا مغايرًا تماما عن الآخر " فالنص الديني هو كل ما ثبت

1. بهجة أومودان. الاستعارة في الخطاب الديني. مرجع سابق. ص167.
2. عبد الباسط ضيف. بلاغة الخطاب الإقناعي عند محمد العمري. مرجع سابق. ص 513. 514.

وُرُودُهُ عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله محمد صل الله عليه وسلم أي الكتاب والسنة الشريفة فهي ما ثبت صحة ورودها بالضوابط العلمية والمقررة عند فقهاء الأمة." [1]

إنّ النص الديني لا مجال في مناقشة أو الاستفتاء فيه فهو فوق كل شيء فلا يجوز الشك فيه أو في مصداقيته وقداسته، لأن كتاب الله عز وجل يعتبر مصدرا معصومًا.

أما الخطاب الديني فهو خلاصة علم الفقيه والمفكر ونظرته التي استنبطها من النص الديني سواء القرآن الكريم أو السنة النبويّة.

فالخطاب الديني يحتمل كلا من الصواب والخطأ ولا أساس لمطلقية صحته فهو خارج نطاق القداسة أو العصمة على عكس النص الديني وهذا كله يرجع إلى اجتهاد وفكر العالم أو الفقيه أو المفكر، " والمجتهد يعبر عن مقدار فهمه وإدراكه، كما وقد يتأثر بمختلف العوامل النفسية والاجتماعية التي تنعكس على آرائه وتصوراته." [2]

2. الفرق بين النص الديني والخطاب الديني:

من خلال ما سبق ذكره استنتجنا عدة فروق بين النص الديني والخطاب الديني فمثَّلناها فيما يلي:

❖ من حيث المصدر

- الخطاب الديني ← متغير: على حسب العالم أو المفكر أو حتى خطباء محترفين
- النص الديني ثابت: الوحي والسنة

1. حسن الصفار. الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان . المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2007. ص 20.
2. المرجع نفسه. ص 21.

❖ دقته وصحته

- الخطاب الديني ← قابل للنقد لأنه نتاج بشري وإنساني ولا عصمة لمخلوق فيه
- النص الديني ← معصوم من الخطأ ولا يمكن مناقشته بل يمكن فقط تفسيره والاستناد إليه.

❖ الأسبقية والشمولية

- الخطاب الديني ← مستوحى من النص الديني ويعتبر خلاصة فهم له وشرح له، ولا يوجد خطاب سابق للنص الديني بل الخطاب وليد النص الديني ويتشعب ودوما يكون ظله وغالبا ما نجد الخطاب الديني يلم بموضوع منفرد أو مزدوج فقط للتمكن منه من حيث إنشاء التفاعل، البراهين والأدلة
- النص الديني ← أولى وأسبق ويعتبر مصدر المصادر كلها، شامل من كل النواحي (الأسلوب، اللغة، الموضوعات، التميُّز، الواقعية، الإرشاد)

3.مرجعيات الخطاب الديني:

تتعدد مرجعيات الخطاب الديني بتعدد أنواع النص الديني الذي بدوره يغذي الخطاب الديني ويحيله إلى الصحة والصواب، وفي ذكر أقسام النص الديني يكون بذلك استوفاء لمرجعيات الخطاب الديني، فهذا الأخير ينقسم إلى قسمين أساسيين " أحدهما يمثله الوحي وينقسم بدوره على قسمين: القرآن الكريم والسنة

المطهرة، أما القسم الثاني فيطلق ويراد به اجتهادات علماء المسلمين، المتمثلة في مختلف العلوم الإسلامية، كالتوحيد والفقه والتفسير، والحديث وغيرها." [1]

أ. القرآن الكريم:

فهو كلام الله المنزل على نبيه محمد صل الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبَّد بتلاوته، فهو معصوم من الخطأ ومنتزه عنه، أنزله الله على عباده لينير بصيرتهم ويخرجهم من غياهب الجهل والظلمات، وليفرقوا بين الحق والباطل ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، وهو أول مصدر للتشريع الإسلامي.

ب. السنة النبوية:

وهي كل ما ورد عن الرسول صل الله عليه وسلم من قول أو فعل أو صفة وتنقسم إلى:

- " قولية: وهي كل ما ورد من أقوال النبي صل الله عليه وسلم من لفظه في مختلف الأغراض والمناسبات، فكل قول صحت نسبته للنبي وجب إتباعه "
- " فعلية: وهي ما صدر عن النبي من أفعال في كل أحواله والتي نقلها الصحابة (...) وليس كل أفعال النبي سنة يجب إتباعها إلا فيما يتعلق بالأفعال التشريعية "
- " تقريرية: وهي كل ما أقر به النبي مما صدر به من أقوال وأفعال." [2]

" هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهي تلي الكتاب العزيز في الرتبة من حيث الاستدلال بها على الأحكام الشرعية واستنباطها منها." [3]

قال تعالى﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ﴾ [الحشر: 7]

1. مرزوق العمري. إشكالية تاريخية النص الديني. الخطاب الحداثي العربي المعاصر. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة. الجزائر. ط1. 2012. ص21.

2. الحديث عن أهل السنة والجماعة. مقالة مختارة من نسخة 30 أفريل 2012. الموسوعة الحرة. ويكيبيديا. متوفر على الموقع: https://arm.wikipedia.arg./wiki/

3. أحمد فراج حسين. أصول الفقه الإسلامي. منشورات الحلبي الحقوقية. بيروت. ط1. 2002. ص 36.

ج. اجتهادات علماء المسلمين:

" والاجتهاد في الإسلام هو بذل الجهد لإدراك حكم شرعي من أدلته الشرعية وهو واجب على من كان قادرًا عليه قال تعالى﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ٧﴾[الأنبياء: 7] . وقال تعالى﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ٤٣﴾[النحل: 43]." [1] وفيه:

1. الإجماع:

" هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور بعد وفاته على حكم شرعي." [2] فهو الدليل الذي يلي النصوص في القوة والاحتجاج.

2. القياس:

" هو بيان حكمّ أمر غير منصوص، على حكمه بإلحاقه بأمر معلوم حكمه بالنص عليه في الكتاب والسنة." [3] أي أن الحكم الشرعي يعرف إما بالنص وهو ما عبر بأنه الحق فيه بعينه، وإما أن يكون بتحري مقاصده وذلك يكون بالقياس.

1. الاجتهاد في الإسلام... والسيرة النبوية الشريفة . أحمد محمود سعيد . صحيفة جَرَاسَا . عدد 28 أوت 2017.
2. أحمد فراج حسين. مرجع سابق . ص 60.
3. محمد أبو زهرة. أصول الفقه. دار الفكر العربي. القاهرة.مصر.ط1. 2015. ص 204.

الفصل الثاني:

الاستراتيجيات التواصلية للخطاب الديني

أولا: أثر الخطاب الديني على المجتمع

1. التقويم الفكري والاجتماعي
2. أسباب فشل الخطاب

ثانيا: التجديد والتبديد في الخطاب الديني

1. تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر
2. الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف

ثالثا: الرواية الجزائرية والخطاب الديني

1. الرواية الجزائرية الناضجة بعد الاستقلال
2. تجليات الخطاب الديني في الرواية الجزائرية

يعد الخطاب الديني بؤرة ومركز العمل الذي ينتجُ ضمن نطاق معرفي معين، وكغيره من المعارف يحتاج إلى البزوغ بشتى أنواع الطرق والتدابير لبلوغ هدفه وهذا ما يُنْسَبْ إلى ما يسمى بالاستراتيجية التي تنقسم بدورها إلى قسمين:

. **"أولاً**: تخطيطي ويتحقق في المستوى الذهني.

. **ثانيا**: مادي يُجسد الاستراتيجية ليتبلور فيه الهدف، ويرتكز العمل في كِلا البعدين." [1]

هذا في المفهوم العام، أما على مستوى التواصل اللغوي التداولي منها، الاستراتيجية هي " طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط، معلومات متعددة والتحكم بها." [2]

فهي بمثابة خطوط عريضة يجب إدراجها لتضمن الوصول إلى الهدف فهي عمل ذهني وعقلي مُتَرَاصْ، ينطلق من افتراضات سَابِقَةُ التخطيط، وفي هذه العملية تظل جميع الفرص متاحة لدى الفرد بحسب ما هو مناسب له.

وعلى ضوء التعريف السابق يمكن أن نتوصل إلى تعريف استراتيجية الخطاب بأنه " عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية." [3]

ومن هذا المنطلق يمكن أن نستنتج أن استراتيجية الخطاب الديني تبدأ باللغة التداولية لدى المرسل فهي تُحدد أولاً طبيعة النص من خلال الألفاظ المختارة فيتم من خلالها معرفة الخطاب كما أن وظيفة اللغة يمكن أن تحيل إلى رؤية محددة حول موضوع هذا التواصل اللساني (الخطاب) وذلك بالطبيعة بالاستناد إلى الحقل

1. شيخ أعمر الهوارية . تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية، أطروحة دكتوراه. جامعة السانيا. وهران . 2014 . 2015 . ص 19.

2. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب . مقاربة لغوية تداولية . دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت . لبنان . ط1 . 2004 . ص 53.

3. المرجع نفسه . ص 62.

والثروة المعرفية للدارس، وربط المرسل إليه بواسطة السياق الخارجي للخطاب لتجسيد قصد المرسل من نقل خبر أو تحقيق إفهام ومعرفة معينة أو اتجاه محدد.

أولا: أثر الخطاب الديني على المجتمع

1.التقويم الفكري والاجتماعي:

إن الخطاب الديني ليس مجرد نصوص وكلمات تلقى، أو نصوصًا متداولة على مر العصور لِغاية الظهور أو الشهرة، وإنما هو رسالة ذات مضمون إيديولوجي وديني وتوعوي له غايات عدة ودلالات مؤثرة على الفكر البشري بُغْيَةَ التقويم والتعديل، فلا يخفى على أحد الدور الكبير والأثر البالغ للخطاب الديني على الإنسان وذلك من حيث توجيهه وتهيئة طاقاته لمواجهة مختلف تغيرات الحياة ومن خلال ما نلاحظه اليوم في دعوات الإصلاح والتغيير هي التركيز على الفرد لأنه البنية الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي وكله، فصلاحه يعني صلاح الأسرة وصلاح الأسرة يؤول إلى صلاح المجتمع، وصلاح المجتمع بدوره ينتج أمة شامخة، حيث أن تغير الأفراد له أهمية قصوى وأولى، قالى تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: 11]، وقبل الخوض في حيز أثر الخطاب الديني يجب الإحاطة بمبادئ عديدة يجب أن يتخطاها هذا الأخير للوصول إلى هدفه الرئيسي وهو التقويم لأن " قوانين الخطاب بمثابة مسارات توصله إلى النتيجة المتبقات ومن دونها يتشكل هناك إخلال، وهذه القواعد تنطلق من مبادئ عامة مثل الصدق؛ ومعناه الدعم والانضمام إلى مَا نَصْدَعُ به وضمان ما نتفوه به." [1]

ومنه نورد هذا الجدول للتمييز بين مراحل وصول الخطاب الديني إلى أسمى مقاصده وهي التقويم.

1. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008، ص 82.

الخطاب الديني	الاستراتيجية
التعامل الأخلاقي	ـ إتباع المبادئ الحسنة لكسب الثقة والتأسيس للعلاقة بين أطراف الخطاب ـ حسن التواصل والتعامل لعدم النفور والهروب ولحسن سير العملية التواصلية ـ التعامل ضمن الأسس العلمية والأخلاقية مع إبراز العوامل التي نبني عليها الخطاب بالاستدلال سواء من القرآن أو السنة لضمان التأثر والإصغاء، فبدون شك عند معرفة الشخص أن أصل المعرفة من ذلك المرجع المعصوم سوف يندمج ضمن هذه العملية التوعوية.
محاولة تحقيق مبدأ التفاعل	ـ المبادرة في الإصلاح فمثلا إذا كان الخطاب يحث على التكافل الاجتماعي وجب المبادرة كي يقتدي الناس ويعملون بالمثل ـ ترك المجال للمناقشة وإبداء الرأي لمعرفة الإيجابيات والسلبيات في فكر الأفراد ومنه يتم التفاعل ثم الإرشاد والتقويم السليم.
التقويم	ـ الخضوع والامتثال لمادة الخطاب التي تشمل كل من النصائح أو الإرشادات أو التقويمات ـ فيظهر هذا التقويم في مدى التطبيق على الواقع المعاش

من خلال ما ذكرناه سابقا يتسنى لنا ذكر دور الخطاب الديني في تغير المجتمع فنجد أولاً:

❖ الدور الكبير في حل الأزمات السياسية والاجتماعية التي تعترض سواء الدولة أو الجماعة، كما له دور في توعية الفرد وتنمية الأفكار الدينية لديهم بوصف السياسة تتكئ على الخطاب الديني لأنه محرك للرأي العام.

❖ الخطاب الديني يوحِّد صوت الدولة وأفرادها مما يكون خطابا جامعًا يمكن به البروز أمام الدول الأخرى الغربية، مما يقلل من حدّة أزمة التشتت والتطرف.

❖ الخطاب الديني غذاء للأمن الفكري وبه يتعايش ويستمر لأن الدين يعتبر إيديولوجية فطرية لدى جميع الشعوب الإسلامية. [1]

❖ كما أثبتت فائدة الخطاب الديني في التكافل الاجتماعي كونه يقوم على الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية والابتعاد عن الفوارق الطبقية وصناعة مجتمع قائم على الوحدة والإصلاح وإلغاء التميزات العنصرية والحث على الأخوة، بمعنى الحث على التعايش والوسطية والاستغناء عن الغلو والتحريض، " فالرسول صلى الله عليه وسلم خطب جميع الفئات وعاش معها فعاش في مكة مع الكفار، وكذلك في المدينة أبرم عهدا مع اليهود وتعايش معهم تحت سقف دولة واحدة." [2]

❖ يعمل الخطاب الديني على تقليل الفوارق الطبقية بين أفراد المجتمع والعمل على بث العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات قالى تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ٧﴾ [السجدة: 7]، أي إلغاء الفروقات الجسدية والفكرية والفرق الوحيد هو قوة الإيمان بالله والإستمساك بالعروة الوثقى فكلنا من آدم وآدم من تراب، قالى صلى الله عليه وسلم:" لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى"، وقالى تعالى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ١٣﴾ [الحجرات: 13].

❖ وقبل الدعوة إلى التثقيف والتكافل والتآزر والتعايش التي يحث عليها الخطاب الديني يجب على الخطيب أو الداعي للخطاب أن يتسم بتلك الصفات كي يكون قدوة وموعظة للناس منه فلا طالما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعض الناس بتصرفاته فقط دون اللجوء للحديث قالى تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ٢٤﴾ [السجدة: 24]، وقالى أيضا: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ٧٣﴾ [الأنبياء: 73].

1. ينظر، رعد حميد توفيق ونور علي إبراهيم، تجديد الخطاب الديني المعاصر، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول، 2017، ص 70.

2. محمد رزق شعير. نهى كمال سليم. أثر الخطاب الديني في التوعية الفكرية. مرجع سابق. ص 21.

مما سبق ذكره يتبين لنا أن الخطاب الديني هو الوسيلة والمسؤول الأساسي عن إشاعة الرحمة بين الناس سوآءا بتهذيب القرارات أو بتوعية الفرد أو المجتمع فلا يمكن أن يصدر حكم لجماعة إسلامية دون الرجوع للدين، كما لا يمكن أن يكون الدين تحت تصرف وتهذيب السياسة أو الدولة بل العكس لأن صاحب المصدر المعصوم هو الأساس دائما والباقي يترتب وراءه كلٌ بحسب أولويته.

2.أسباب فشل الخطاب الديني:

إن أي شيء في الوجود الإنساني يكون له مؤهلات تسمو به للبزوغ والسطوع، ومعوقات تُعطِّل انتشاره أو تغدو الحاجز أمام تقدمه ونجاحه أو ربما توفر له حتمية الفشل.

ومن أهم الأسباب التي أضعفت الخطاب الديني " اقتصاره على الجانب العاطفي أو على السطوح دون الأعماق، وعلى الفرعيات دون الأصول، تلبية لرغبة الجماهير التي أفسدت ثمرته (...) لأن هذا الاقتصار قد فصل الوسائل عن الغايات التي توفرها الرّؤية المتكاملة." [1]

كما أن الفصل بين الفكر والدين خلق ذلك الشرخ بينهما وأضحى هاجسا للفرد في كيفية التصديق والالتحاق بالخطاب الديني، فمن حيث الدين يقر بشيء، وفي المقابل نجد الفهم الفكري مشتق من عدة تأويلات كلها على خلاف الأخرى.

ويمكن القول أيضا أنه من أسباب عدم ذيوع وفشل الخطاب الديني تلك المسافة التي تُتْرَكُ بين الذات والموضوع، لأن تفاعل الذات مع الحس يؤدي إلى الموضوع الذي ينحصر بدوره ضمن نطاق المحسوسات، بمعنى أن الذات العارفة للموضوع بصورة حسية ومعرفية تنتج تشكيلا مفهوما له، فتتمكن من قبوله والعكس صحيح، وهذا ما يسهل عملية نفور الفرد والجماعة المسلمة من الخطاب الديني الإسلامي، وذلك لفقدان الأمل في الخلاص بالرغم من سيادة هذا الأخير لقرون طويلة، لكن التصادم القائم بين مختلف التيارات الغربية جعل –وخاصة من فئة الشباب– يعيد النظر في هذه القضية لأن حجم المغريات أقوى من مواضيع الخطاب الديني.

1. محمد رزق شعير ونهى كمال سليم. أثر الخطاب الديني في التوعية الفكرية. مرجع سابق. ص 16.

لقد أصبح الدين مزاجيا والفتاوى تتناثر من كل شخص أراد أن يفتي دون فقه له أو علم وخاصة من العقول اللاواعية " فهل يصلح لخطبة هذا شأنها، ومنبر هذه مكانته، أن يتولاها من لا يحسن شيئًا يتولاها من يُرَدِدُ كلامًا لغيره... ويتطرق إلى مشاكل غير واردة، ويطيل في غير ما يهم." [1] إضافة إلى هذا نجد غياب التفسير لاستدلالهم إما بالقرآن الكريم أو السنة فكما ذكرنا سابقا الخطاب موجه للجميع والجميع تختلف مستوياته التعلمية والعلمية، وغياب التفسير مع ذكر الاستدلال يترك الغموض يكمل طريقه مما يجعل من ذلك الخطاب مبهمًا لا يستفاد منه، فسرد الآيات والأحاديث الواحدة تلوى الأخرى دون الشرح والتحليل لا يقر بها المخاطبون لأن التحليل اللغوي " يعتبر المنهج الوحيد الإنساني الممكن لفهم الرسالة، ولفهم الإنسان." [2] وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تجاهل المخاطب ومحاولة تبيان الذات فقط في إمكانية إثبات أقوال الخطباء بإعطاء الدليل القاطع والشاهد على كلامهم، مما يعتبر خطأ في إمكانية تحقيق الفائدة.

ثانيا. التجديد والتبديد في الخطاب الديني

1.تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر:

تعتبر قضية تجديد الخطاب الديني قضية جد معقدة، والالتفات إليها هو أمر ضروري ومشروع لأن التجديد في الفكر الإسلامي يعتبر حقًا من حقوق العقل المسلم على أهله وأهل الفقه والسنة وأهل الاختصاص من العلماء المسلمين، كما يعتبر قانونًا يجب التزامه كلما حان وقته، وبدون هذا التجديد سوف يحدث شَرْخُ بين العقيدة الإسلامية التي تحتل مركز الثبوت وعدم التغيير وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع الذي لا يكف عن التغير المستمر والدائم، وكذا يعدم المواكبة لعصرنة المجتمع والبقاء بذلك التقليد في الفكر والفقه، يؤدي إلى عجز الشريعة في تنفيد حجة الله على عباده في كل زمان ومكان حيث نجد الرسول عليه الصلاة والسلام أشار إلى هذا التجديد في خطاب موجه للصحابة والأمة حيث قال "**جدِّدُوا إيمانكم**".

فلما قالوا يا رسول الله كيف تجدد إيماننا؟

قال صلى الله عليه وسلم " **أكثروا من قول لا إله إلا الله** " **رواه الإمام أحمد.**

1. أبو عبيدة مشهور بين حسن بن محمود بن سليمان، القول المبين في أخطاء المصلين. دار بن حزم. الرباط. ط4. 1996.ص368.
2. نصر الدين حامد أبو زيد. مفهوم النص. دراسة في علوم القرآن. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط5. 2000. ص26.

كما قال أيضا: يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها " رواه أبو داوود . عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. " [1]

أ. مفهوم التجديد:

ورد عن ابن منظور في معجمه لسان العرب في مادة جَدَدَ ما يلي: التجديد مِنْ جَدَّدَ أي صار جديدًا، وأجَدَّه وجَدَّدَهُ واستجدَّهُ أي صيَّرَهُ جديدًا. [2]

والتجديد لغة: يعني وجود شيء كان على حالة مَّا، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغير كان ذلك تجديدًا. [3]

ومن هنا يمكن القول أن التجديد هو إخراج الشيء من حالة كان عليها وصقْلِهِ إلى حالة جديدة لغرض التماشي مع الزمن أو لغرض العدول عن المألوف، لأنه يمكن أن يحدث التجديد لهدف التغير وليس لهدف إعادة الهيكلة السابقة، كما يدلنا التجديد إلى أن الشيء له عهد سابق، ثم طرأت عليه الأيام، ثم أُعِيدَ إلى مثل سابقه أو إلى الحالة التي كانت عليها وربما يضاف إليه او يُزَاحُ عنه.

ب. التجديد في الفكر الإسلامي:

يتداخل مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي بلا شك في أصل مفهوم التجديد اللغوي لكن " تجديد الدين لا يعني تغيره أو تبديله، وإنما يعني المحافظة عليه ليكون غَضًّا، طريا كما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم." [4]

أي التجديد في الدين هو عبارة عن مسؤولية التحقيق والتنقيب والفرز في الدين كله وذلك بإعادة صياغة صحيحة له، وبإعادة المنزوع وحذف المضاف أو الزائد وكل ما ألحق به من تحريف أو أخطاء، أي

1. أبو داوود سليمان . سنن أبو داوود/كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة . تح محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. لبنان. ج4 . ص 480.
2. أبن منظور الإفريقي . مرجع سابق. ج1. ص202.
3. بسطامي محمد سعيد. مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث . السعودية، ط3 . 2015 . ص15.
4. محمد بن شاكر الشريف . تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف . مكتبة الملك فهد. الرياض. السعودية، ط1 . 2004 . ص12.

بمعنى أن التجديد هو عملية إصلاحية يكمن أساسها في العودة إلى الأصول دون الفروع، بغية المحافظة على التعاليم الرئيسية للدين الإسلامي. [1]

فبالرغم من أن الدين الإسلامي محفوظ من قبل الله تعالى في قوله﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩﴾[الحجر: 9]

إلا أن الفكر الإسلامي متفرق في فهمه وهو السبب الرئيسي في ضياع الدين كما أنه السبب الرئيسي في إجبارية التجديد له لأن الدين واحد وهو الأساس أما الفكر فهو المفهوم الناشئ عنه وكما يعلم الجميع أن الفهم متغير لعدة أسباب منها ما يرجع إلى الموروث الإنساني ومنها ما يرجع إلى المعتقدات والتقاليد والأعراف وغيرها، فلا يمكن أن يستمر الدين بالتناقل عبر الفكر الإسلامي لوحده بل يجب له التصحيح والتجديد لتفادي هذا التباين بين الفهم الخاطئ والصحيح.

ج. تجديد الخطاب الديني:

يبدأ الخطاب الديني أول رحلات تجديده من الدين، أي أنه يُجَدَدُ حينما يجدد الدين وبذلك يكون كل خطاب منشأ عن أسس سليمة بالضرورة سليم، ثم ينتقل بذلك إلى ضرورة التجديد في لغة الخطاب الديني لأنها تقوم بأول التغيرات فيه فلا يمكن أن تصاغ الخطابات بلغة المتون العلمية ولا باللغة الفقيهة لأن بذلك لن تصل الفكرة إلا بطلبة العلم والعالمين بها فقط، بينما الخطاب موجه لعامة الناس صغيرهم وكبيرهم فيجب أن تكون الالتفاتة الأولية إلى اللغة البسيطة والسهلة والمفهومة كما يجب أيضا مراعاة تطورات الحياة بما في ذلك الأعراف وتشعبها في كل زمان ومكان، وفي هذا التجديد يجب عدم إغفال أساليب الخطاب من حيث الأسلوب وذلك بمحاولة بناء أساليب جديدة ربما تجلب انتباها أكبر، أو طرق مستحدثة لم تكن معروفة من قبل، أو مبتكرة لم يكن لها أصل لكن في حدود الشريعة وفي حدود الدين الإسلامي. [2]

وتجديد الخطاب الديني يتمركز ضمن الضروريات التي يجب مراعاتها في كل وقت لكن ضمن حدود، إذ أن أهل الاختصاص هم المسؤولون به وليس العامة كما أن تجديد الفكر في كل مرة يؤدي إلى استمرارية

1. محمد بن شاكر الشريف. مرجع سابق. ص12.
2. ينظر المرجع نفسه ص 28.

الخطاب الديني ضمن السبل الصحيحة والثابتة كما أن التطرق للتجديد لا يعني نفي القديم او التخلي عنه، بل محاولة الإصلاح بالوعي والعقيدة الثابتة بعيدًا عن التحريف.

2.الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف:

تحدثنا سابقا عن التجديد في الفكر الإسلامي والخطاب الديني اللذان كانا ضمن مشاريع العصر في احتلالهما مكانة بارزة في إقرار المواقع له سواء في المساهمة في تجديده أو التجاوب مع هذه القضية "التجديد"، وعلى ضوء هذا ظهر ما يسمى بالتطرف الذي أضحى صيته يذاع منذ البدايات الأولى للتجديد، فبالرغم من أن المصطلح جديد "تجديد الخطاب الديني" إلاّ أن المضمون قديم جدًا قِدم الرسالة المحمدية، وهذا التطرف تَكَوَّن لينشئ ذلك الصراع العقيم بينه وبين الاعتدال الذي لازال يقاوم ليدحض هذا التحريف الذي يتبنى تلك الدعاوي الباطلة التي تتخذ الإسلام والعقيدة عنوانها وتزعم أنها مرجعيتها.

ومن هذا المنطلق نصل إلى نقطة تفرع الخطاب الديني إلى قسمين لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر بحيث كليهما توسع واحتل مجالاً من البزوغ والظهور في حين يكمن النزاع في كيفية إظهار الخطاب الصائب وتفريقه عن التطرف وهذا ما خدع الكثير ممن اتبعوه فسار بهم نحو الهاوية والمشكلة هنا في مدى فهم الفرد لهذا الخطاب والفكرة التي يستقبله بها، في هذا الموضوع سنتطرق إلى نوعَي الخطاب بين المعتدل والمتطرف فتحاول الإحاطة بما هو بارز للتمكن من التفريق بينهما:

أ.الخطاب المعتدل:

1.مفهوم الاعتدال:

لغة:

ورد في المعجم الوسيط أن اعتدل: توسط بين حالتين في كمٍّ، أو كيفٍ، أو تناسب، يقال، ماء معتدل: بين الحارِّ والبارد، واعتدل: استقام ويقال هي حسنة الاعتدال، حسنة القوام ...." [1]

كما ورد عن ابن منظور أيضا في مادة "عَدَلَ" ما يلي:

العَدْل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضدّ الجور.

1. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. مصر. 1960 . ص 588.

والعَدْلُ: الحكم بالحق...، واعتدلّ أي استقام." [1]

اصطلاحا:

أما المفهوم الاصطلاحي فإذا نظرنا إلى الاعتدال كما ورد من قبل على أنه الوسطية فهو " منهج معتدل لا يميل إلى الإفراط والتفريط." [2] وهنا نجد أن كل من الوسطية والاعتدال يرميان إلى الاستقامة والنُبْلُ الأخلاقي، كما أنهما مصدر التوازن والانسجام بين كل من الإفراط الذي يؤدي بالفرد إلى التعصب لأن الشيء إذا زاد عن حَدِّهِ انقلب إلى ضده، والتفريط الذي يؤول إلى الترك واللامبالاة، " فالوسطية هي وسط من حيث موازين القيم والأنظمة التي تقوم عليها، فالنسق القيمي الإسلامي يوازن بين القيم الفردية والجماعية والمسؤوليات أي الحقوق الاجتماعية." [3]

وهذا بالذات ما يضمه الخطاب الديني المعتدل بمحاولاته في طمس التطرف والعدول عنه، فالخطاب الديني يعتبر وسيلة المسلمين في رفع قيمهم، وطريقة لإبراز ما تحتاجه الأمة في ظل كل الظروف والعقبات، كما أنه ـ الخطاب المعتدل ـ يحركها للنهوض من حالة الركود والتخلف اللذان يظن العالم الغربي أنهما من صفات الإسلام والمسلمين " لأن تطوير الخطاب الديني يتطلب دمج قيم الوسطية والاعتدال في بنية الخطاب الديني بحيث يتجه نحو دفع القيم الإنسانية كالعدل والعلم والحرية والتسامح والعيش المشترك في إطار مجرد عن الإنسان في علاقته بأخيه الإنسان دون نزعة طائفية." [4]

فالهدف الأسمى هنا هو نشر القيم والأسس الصحيحة التي يستطيع الفرد الانطلاق منها دون خوف من الخروج والانزياح عن الإسلام وطريق المسلمين، باعتبار هذا الأخير ـ الخطاب الديني المعتدل ـ " يقوم على النهج المعتدل والوسطية، ويحتكم إلى مصادر التشريع في الدين الإسلامي، وتحديدًا القرآن الكريم، الكتاب

1. ابن منظور ـ لسان العرب مادة (عَدَلَ) ج 11 ـ ص340 ـ 432.
2. عبد العزيز راجل، مفهوم الوسطية في الخطاب الإسلامي المعاصر، مؤسسة دراسات وأبحاث السعودية، 2008. ص 5.
3. منى أبو الفضل، الأمة القطب نحو تأصيل مناهجي لمفهوم الأمة في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ـ دط.1996 ـ ص45.

4. خواجة محمد ياسر، تجديد الخطاب الديني في إطار المشهد التاريخي ومواجهة الآخر (الغربي)، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديموقراطي العربي ـ مصر ـ العدد الثاني ـ ديسمبر 2017 ـ ص 43.

المعجز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ٤٢﴾ [فصلت: 42]،وصحيح السنة النبوية المطهرة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ٧﴾ [الحشر: 7]. [1] فالثبات والمداولة عليه تثمر ثبات العقل على الهداية وتوازن الفرد في إقامة الفرائض الدينية والدنيوية باعتبارها ضرورة للحياة واجتهاد لنيل الثواب في الآخرة، والخطاب الديني المعتدل هو أخلاقي بدرجة أولى بسبله في القضاء على الفساد والفاحشة التي يستلهمها الكثير من الثقافات الغربية الغازية للمجتمع العربي المسلم، وذلك مبين من أول وهلة في قراءته، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ١٤٣﴾ [البقرة: 143].

كما أن الخطاب الديني المعتدل يخاطب العقل ويستشيره فيما يخص اعتداله وذلك في تبيان كلٌّ من الطرفين اللذان يضمان التفريط والإفراط وضرورة الوسطية بينهما بالحجة وحسن التدبر لأن الهدف والغاية منه هو النهضة بالإنسان وتطويره نحو الأفضل باتزان بين مصالحه ومصالح الجماعة والمجتمع.

ب.الخطاب المتطرف:

1.مفهوم التطرف:

أتى ابن منظور في معجمه لسان العرب مادة (طَرَفَ) ما يلي:

" تطرف الشيء: صارَ طَرَفًا، تَطَرَفَت الشمس دنت للغروب.

وطَرَفَّ حول القوم قاتل على أقصاهم وناحيتهم، وبه سمي الرجل مُطِرفًا، وتطرفَ عليهم أغَارَ، وقيل هو الذي يقاتل أطراف الناس. [2] أما في معجم اللغة العربية المعاصرة فتطرفَ يتطرف. تَطَرُفًا، يعني مُتَطَرِفٌ، والمفعولُ متطرِفًا (للمعتدي)، وتطرف الشيء مطَاوِعُ طَرَّفَ، أي أتى الطّرَفَ أي منهى الشيء أو نهايته، صار طرفًا، يقال غصْنٌ متطرف ".

. تطرف الشيءَ، أخذهُ من أطرافه.

. "تطرف في إصدار أحكامه، جاوز حدَّ الاعتدال ولم يتوسط، يقال: "حزب سياسي متطرف".

1. ينظر: رضا عبد الواجد أمين، الخطاب الديني المعتدل ودوره في نشر قيم السلام والتسامح . مجلة البحوث الإعلامية . مجلة علمية محكمة تصدرها كلية الإعلام بجامعة الأزهر، القاهرة . مصر . العدد 53 . ج1 . جانفي 2020 . ص18.

2. ابن منظور. معجم لسان العرب. مادة (طَرَفَ). ج9. ص106.

وهذا التطرف يأتي على شكل مقالات سياسية أو دينية أو مذهبية أو فكرية، وهو أسلوب خَطِرٌ مدمر للفرد أو الجماعة." [1]

أي أن التطرف أصله عبارة عن أفعال حسية تأتي ضد الاعتدال والوسطية كالجلوس أو الأخذ أو غيرها، وفيما يخص الجانب المعنوي فهو العدول في الفكر أو التصرفات.

2.التطرف في الخطاب الديني:

"هو خطاب متوسل بوعي المنظومة الفكرية للموروث السياسي الذي أنتج وسائله في تبرير الإقصاء للآخر، هو خطاب مفتوح تم تأسيسه في بنية يحرثها مشايخ الدين ويزرعون فيها كل متراكمات الموروث المشحون بكامل الماضي وإدانة الحاضر." [2]

ويمكن القول أن هذا الخطاب هو موقف متشدد متعصب لرأيه وذلك بالرفض التام لأي رأي آخر أو أي مناقشة تأتي ضدهُ، وهذا الموقف بالذات تمثله شتى أنواع الجماعات الإرهابية ومنظماتهم التي وصفَتْ بأنها " استخدام غير مشروع للقوة، لتنفيذ أجندة سياسية غير مشروعة، إلاَّ أنّ تصنيف المنظمات وتطبيق هذه المعايير النظرية يتباين بحسب أجندةِ كل دولة سياسيًا وأمنيًا." [3]

وإضافة إلى هذا التعريف نجد أنّ الجماعات الإسلامية المتشددة هو كنية أخرى تطلق على هذه المنظمات الإرهابية التي نَشَأَ عنها كل الصراعات الداخلية العنيفة والمتواصلة بهدف إسقاط الحكم من الدولة وتوليهم إيّاه باعتبارِ أنهم هم أصل الحُكم وأولى بِهِ وكل هذا تحت ظل اعتقاداتهم السائد بأنهم يمثلوُن العدل والدين.

كما أن هذا التّيَارَ الغازي للعالم يشهد توافدات كثيرة من قبل الناس وذلك يرجع إلى ظهورهم تحت ظل الدين والفكر ثم جعل الخطاب الديني كوسيلة رائجة لهم، وبحكم المجتمع يحتوي على فئات متعددة وغير

1. أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. القاهرة ط1. 2008. ص 1396.
2. غمدان الدقيني، الخطاب الديني في تاريخ الصراعات هو وسيلة السياسي، تاريخ الاطلاع 26 جانفي2018. الساعة 18:00 الموقع: http://www.infaaswtok.com
3. محمد سليمان أبو رمان وآخرون، وسائل منع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وفي الغرب، مؤسسة فريدريش إيبرت، مكتب عمان، 2016، ص 13.

متساوية لا في الدين ولا في العلم ولا في الثقافة هناك من لا يفرق بين هذا الأخير، الخطاب الديني المتطرف، والخطاب الديني المعتدل، باعتبار العنوان واحد والمحتوى مختلف وبالرغم من أن القرآن الكريم أتى بالنهي عن الغُلو في التطرف في قوله جلَّ وعلا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ٧٧﴾ [المائدة: 77].

إلا أن الكثير جاهلون عَنْهُ ومنحرفون عن وصلة الدين المتمثلة في مصادر التشريع الإسلامي، ويرجع هذا إلى عدة أسباب تتمثل في:

- أسباب دينية من حيث الفهم الخاطئ المتمثل في التعصب العقائدي.
- أسباب اجتماعية متمثلة في الانفتاح غير المسؤول وغير الواعي وغياب القيم، وتفشي البطالة وضياع الشباب في عشوائيات الحياة.
- أسباب سياسية كاعتماد الحلول الأمنية فقط في معالجة الإرهاب والتطرف دون التوعية الفكرية للفرد بخاطرهم سواء للمشاركة في محاربتهم أو كيفية تجنبهم وعدم مسايرتهم وذلك للقضاء على تكاثرهم الهمجي واللامحدود.
- غياب العدالة الاجتماعية وتدني مستويات الدولة والفرد في شتى المجالات إضافة إلى غياب المصداقية من الحكومات والأنظمة السياسية مع شعوبها.
- ضعف دور الأسرة وضعف الرقابة على الإعلام ومواقع الإنترنت التي باتت وكرًا لنشر الأفكار عن الدولة ومحاولة الإقناع بالعدول عنها واللجوء إلى الانقلاب. [1]

إضافة إلى هذا نجد من أبرز ما جعل الخطاب الديني ينقسم إلى وجهين معتدل ومتطرف، الإفراط في التشدد، فالخطاب الديني المتشدد جعل الكثير من الفئات تنقلب عليه بتشكيل تلك المنظمات المتطرفة والمتعصبة اتجاه الدين والخطاب الديني، وهذه المنظمات المتمثلة في الفرق الإرهابية ومنظمات داعش التي باتت تغزو كل العالم دون خصوص، وأساس هذه الفئات مبني على " الجمود الحرفي عند ظواهر النصوص، وعن العقلانية الوضعية اللادينية الغربية التي تُؤَوِلُ الدين، فتجعله دينًا طبيعيا، وإبرازًا بشريا لا علاقة له بالدين الإلاهي الذي جاء به نبأ السماء العظيم." [2]

1. ينظر. سعيد عدنان تيتان. التطرف وعلاقته بمفهوم الذات لدى طلبة مؤسسات التعليم العالي في محافظة قلقيلية. رسالة ماجيستر. جامعة القدس المفتوحة. فلسطين. 2017 م. ص 31.

2. محمد عمارة. الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني. مرجع سابق. ص 12.

فهم في ظل التطرف يزعمون الثبات والانتساب للطريق الصحيح والعقيدة السمحة كما يعتقدون أن كل هذه الاغتيالات والمواجهات هي عبارة عن جهاد في سبيل الله وفي سبيل تحقيق العدل والعدالة، والسبب يعود إلى تمسكهم بالقراءة الحرفية للنصوص الدينية التأسيسية، لأن هذه القراءة تقوم على وجه أحادي في فهم الدين الإسلامي كما تعده فهما نهائيا لا نقاش فيه، منغلق ومطابق للشرع، ومن هذا المنطلق يجب التقيد به والالتزام بمضمونه، وكل تغير أو خروج عنه يعتبر تشتت عن العقيدة وانسلاخ عن مِلَّة الإسلام، وهذا الاعتقاد ما يجر بهذه الجماعات إلى تشكيل أسئلة وإشكالات لا علاقة لها ولا صلة تقربها من الواقع. [1] ومنه يتم النظر إلى هذا الواقع أنه جامح في حق الدين والإسلام فيتم بذلك محاولة التغير والانقلاب على هذا الواقع الذي لا يجدون فيه أفكارهم المسلمة للماضي واتجاهاته وتقديسهم للتراث الذي ينفي تماما الاختلاط بالغرب وبثقافتهم فالخطاب الديني المتطرف يهدف إلى " إقامة سور نفسي واجتماعي يفصل بين المسلمين وغيرهم، زاعما أن الإسلام يضع أتباعه في حالة جهاد ديني مقدس متواصل الحلقات ضد من لا يدين بالإسلام." [2]

وبإتباع هذه النظرة يقوم أصحاب هذه الفئات على ما يسمى بالعنف والترهيب لغرض نظرياتهم، وعلى سبيل هذا الحديث نجد القتل والخطف والاغتيالات المتعددة بارزة كصفة أولية راسخة في هذه الفئات المتطرفة ظنّا منهم أن القوة والتخويف تفي بغرض ضخِّ أفكارهم وتحتيم رأيهم وحكمهم الذي يناشد بالإسلام الحق، ونسوا في ذلك أنه دين يسر لا دين عسر ولا إكراه في الدين.

ثالثا.الرواية والخطاب الديني

1.الرواية الجزائرية الناضجة بعد الاستقلال

أ. الرواية الجزائرية والواقع السياسي:

لقد كان لتاريخ الشعب الجزائري وقع كبير في الأعمال الأدبية وخاصة الرواية إذ نجد معظم الروايات سايرت الواقع المعاش، وكانت انعكاسا له، فنقلت مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا ما نجده في عقد السبعينيات، "ودخلت

1. ينظر ناصر حامد أبو زيد. نقد الخطاب الديني. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. 2007.ص 19.
2. علي حرب وآخرون. العنف الأصولي مواجهة السيف والقلم. دون دار النشر. لندن 1995. ص 240.

الرواية في ما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة و نضال وانهزام فترة التسعينيات، إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه وعايشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه بـ "أدب الأزمة". "[1]

ب. الرواية الجزائرية في فترة السبعينيات:

لقد سبق وأن عرفنا أن مرحلة السبعينيات كانت المرحلة الفعلية لظهور رواية فنية ناضجة، وذلك من خلال أعمال عبد الحميد بن هدوقة في "ريح الجنوب"، و" وما لا تذره الرياح " لـ محمد عرعار، و "اللاز" و "الزلزال" لطاهر وطار، و بظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية جديدة متقدمة إذ أن العقد الذي تلى الاستقلال مَكَّن الجزائر من الانفتاح الحر على اللغة العربية، وجعلهم يلجؤون إلى الكتابة الروائية للتعبير عن تضاريس الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته، سواء أكان ذلك بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة، أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي تجلت ملامحها من خلال التغيرات الجديدة التي طرأت علي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية؛ وقد اتسمت الرواية في هذه الفترة بالشجاعة و المغامرة الفنية، وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد، الذّي كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة، على اعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح. فالقمع والاضطهاد قد يدفع الكاتب إلى تبني مواقف ما كان ليتبناها لو أن الإطار السياسي كان مختلفا، لهذا أدركتهم حتمية الجمع بين الإبداع والسياسة، "فقد كان "ابن هدوقة" ممثلا لحزب أنصار الديمقراطية وحركة الطلاب الجزائريين بتونس أثناء دراسته، كذلك كان منخرطا في حزب جبهة التحرير واشتغل في الإذاعة بعد الاستقلال، وكان الطاهر وطار عضوا في جبهة التحرير إبان تأسيسها، كما أنه اشتغل بالسياسة والصحافة التونسية، وبعد الاستقلال تفرغ للعمل السياسي بجبهة التحرير كمراقب للجهاز المركزي للحزب."[2]

وقد منح هذا الرصيد من التجربة السياسية هؤلاء الرواد بعدا سياسيا للرواية التي نشأت بين أيديهم، مثلا بن هدوقة "أسهم برواياته في إثراء الحركة الروائية من حيث مواجه الحياة ومشاكلها والتعبير عن قضايا المجتمع وطموحاته، ونشر الوعي السياسي، وتدعيم آمال الطبقة الكادحة، فكتب رواية "ربح الجنوب" في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970م."[3] مساندة للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال

1. ادريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط 1، 2000م، ص 50-51.
2. بن جمعة بوشوشة: الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتابة والصيرورة، دار سحر للنشر، ط1، 1988م، ص 15.
3. عمار عموش: دراسات في النقد والأدب، دار الأمل، د ط، 1998، ص 47

واسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري و الخروج به إلى حياة أكثر تقدما و ازدهارا، ورفع البؤس و الشقاء عن الفلاح ومناهضة كل أشكال الاستغلال عن الإنسان.

ومهما يكن من أمر فإن الرواية بمحيطها وشخصياتها تعبير عن وضع ريفي في بداية السبعينيات يتخبط في بحر من الهموم والمشاكل متأملا في تغيير جذري تجسد في المشروع الجديد المتمثل في الثورة الزراعية لأن المواطن في تلك الفترة كان بين نهجين كان يلزم أن يتبع واحدا منهما فقط، وهما النهج الاشتراكي أو السير بمبدأ الرأسمالية.

أمّا الطاهر وطار، فقد جاءت أعماله لتؤرخ لكل التغييرات والتطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال، "وقد كان للإغراءات الإيديولوجية والفنية التي تميزت بها مدرسة الواقعية الاشتراكية دور في جعل أعمال وطار تتسم بنوع من التلقائية والرؤية الشمولية، كما جعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدلية بين الفرد وأفكاره وأفعاله والحياة بكل صراعاتها."[1]

هذا باختصار بعض المضامين للنصوص الروائية التي ظهرت خلال هذه الفترة والتي كانت كلها تسير في فلك الإيديولوجية الاشتراكية المتبناة من طرف الدولة من أجل بناء الدولة الجزائرية الجديدة بعد أن أحرزت الاستقلال، ولما بدأت مرحلة الدولة الجزائرية الجديدة أسهمت كل المؤسسات في رفع هذا الصرح وأسهمت الرواية كجنس أدبي ومؤسسة اجتماعية أداتها اللغة في بناء مشروع الدولة.

ج. الرواية الجزائرية في الثمانينيات:

كانت التجربة الروائية للكُتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاه تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر "روايات واسيني الأعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة " سنة 1981 م، و "أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983 م، وراوية " نوار اللوز" أو " تغريبة صالح بن عامر الزوفري" سنة 1982م، التي يستثمر فيها التناص مع تغريبة ابن هلال وكتاب " المقريري"، "إغاثة الأمة لكشف الغمة"."[2]

"كما كتب الحبيب السايح رواية" زمن التمرد" سنة 1985 م، ومن الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا أعمال الروائي جيلالي خلاص رواية "رائحة الكلب" سنة 1985م، و روايته "حمائم الشفق"

1. إدريس بوذيبة: الرُّؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، مرجع سابق، ص 44، 45.
2. بن جمعة بوشوشة: التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية، مرجع سابق. ص9.

سنة 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته "البزاق "سنة 1982م، و"عزوز الكابران" سنة 1989 م، الذي يقف فيها شيخ الجامع وهو شخصية من شخصيات الرواية يعد رمز للتيار السلفي المتضامن مع النزعة الوطنية، ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة في الجوانب الإيديولوجية المتباينة، في هذه الرواية يلتقي المعلم وهو من الشخصيات الأساسية بهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر حيث يؤنب شيخ الجامع هذا المعلم و يخبره بأنه غير راض عليه، لأنه في رأيه لا يعلم الأطفال ما ينبغي تعليمه وهو أن يعلمهم الحقيقة و كذا التمرد على حاكم مثل «عزوز الكابران»."[1]

ومع كل هذه الأعمال الروائية التي ترمي إلى إحداث التجديد و الخروج عن المألوف السردي، شهد عقد الثمانينيات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا و جماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري، إدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات و تناقضات من زمن الاستقلال، إضافة أيضا إلى "عدم توفرهم على شروط الوعي النظري للممارسة الروائية، ولهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة وساذجة في التعبير عن الموقف من واقع الجزائر في السبعينيات والثمانينيات، وما ميزه من مناظر و صور تأزم من تهافت أشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة."[2]

د. الرواية الجزائرية في التسعينيات:

لقد كانت فترة التسعينيات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية التي أنتجته و بالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية، التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب الذي مروا به؛ وبعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، و التي مست كل طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجا آخر عالج موضوع الأزمة و آثارها فاتخذت راوية الأزمة من المأساة الجزائرية مدارا لها، منها تتولد أسئلة متنها الحكائي و في أحضانها تتشكل مختلف عناصر سردها.

1. ينظر: المرجع السابق. ص9.
2. المرجع نفسه. ص 11

وما تردد في روايات التسعينيات "تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجينًا بين نار السلطة وجحيم الإرهاب، وسواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رساما أم موظفا، فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة والتخفي وهم يشعرون دوما أن الموت يلاحقهم."[1]

"إنّ الإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها بل بفظاعتها ودرجة وحشيتها، وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا، إذ استغرق مدة غير قصيرة لكن انشغال الناس به في سعيهم اليومي وأرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله بل إن ثقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب عليه أن يتنصل منه."[2]

إذا فموضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب، كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، إلا أن هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية، إذ لم تكن عشرية الأزمة فقط بل كذلك كانت "عشرية التحول نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء انتخابات 1992.[3]

حيث واكبت الرواية الجزائرية هذه المرحلة الجديدة، مرحلة التكتلات وبهذا ظهرت رواية المعارضة كبديل عن رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد أحداث 08 أكتوبر 1988، وبذلك فسحت المجال لرواية المعارضة بعد توفر مناخ الحرية الذي أفرزه دخول الجزائر مرحلة اختيارات جديدة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، فزالت سياسة الحزب الواحد، و جاءت التعددية الحزبية وقد رافق هذا المعطى السياسي اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، و بهذا أصبح النص الروائي ملزما بتجديد موقفه مما يحدث، و كما كان الروائي الصوت المعبر عن هموم الجماعة و الصادر عن عمقها، كان أول ردود فعله اتجاه ما يحدث هو الوعي بالمأساة الوطنية.[4]

إنّ نهاية رواية الأزمة لا ترد الإرهاب إلى جهة معينة و لا تردها خاصة إلى الحركة الأصولية كما هو معروف، بل إن إطفاء شمعة المثقف الوطني يعود إلى عدة أطراف، وكل هذه الأطراف اتفقت على شيء واحد هو

1. بن جمعة بوشوشة: التجريب وحداثة السردية في رواية العربية الجزائرية، مرجع سابق. ص9.
2. مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الرواية، مجلة عالم الفكر، المجلد 22، العدد الأول بسبتمبر، د ط، 1999، ص 304.
3. ينظر: ابراهيم سعدي: تسعينات الجزائر كنص سردي، الملتقي الدولي السابع عبد الحميد بن هدوقة للرواية، أعمال وبحوث / مجموعة محاضرات الملتقي الدولي السادس، د ط، ص 143-145.
4. ينظر: بن صبيات: الرواية الجزائرية تفتد الى البعد الذاتي حوار مع الروائي ابراهيم السعدي، جريدة الخبر الثلاثاء 11 جوان2001، ص 19

العنف، و في رواية " تيممون" يحاول بوجدرة أن يرصد لنا من عمق الصحراء الشاسعة مسلسل العنف و الاغتيالات إبان الأزمة، وإن كان وسط الصحراء بعيدا نوعا ما عن صخب الإرهاب وما يحدثه من رعب، ولكن أين له أن يبتعد، و أخبار الموت تصله مسموعة و مكتوبة من خلال المذياع و الجريدة، فيرسم لنا حرق المدارس و اغتيال المثقفين والأجانب وكذا السواح وذلك من خلال الأخبار الثمانية التي تتخلل الرواية، والتي نعرف من خلالها أنّ الاغتيالات تصوب بدقة نحو المثقفين و الفنانين، و لكنّها نضال أيضا للعاديين.

إنّ أثر الإرهاب في "تيميمون" ليس محركا للتاريخ بل هو ظاهرة طارئة على التاريخ و حدث عارض يعيق الحركة كما يقطع حبل التسلسل في القراءة، وسيبقى محطة سوداء في طريق التاريخ مثلما تظهر الأخبار بقعا سوداء في جسد الرواية إلاّ أنّها تحول دون قراءة الرواية كما لم تحل دون كتابتها فالعقبات لا توقف مجرى التاريخ و إن بقيت وشما في جسده.

وهكذا كان الخطاب الروائي السياسي والديني في الجزائر وليد الأفكار السياسية و الوطنية، إذ واكبت الرواية الجزائرية جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة، فتناولنا الرواية السياسية في الجزائر في فترة السبعينيات وما تميزت به من مميزات مرورا بعقد الثمانينيات، وصولا إلى عقد التسعينيات الذي كان حافلا بمختلف التطورات و الأحداث خصوصا في الميادين الأمني والديني و السياسي، أما المستوى الأدبي فقد تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة أو الأزمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال واسيني الأعرج و أحلام مستغانمي و رشيد بوجدرة والطاهر وطار وبشير مفتي؛ فالأدب الجزائري شأنه شأن الآداب العالمية هو انعكاسٌ للراهن الحي، وما يحدث من تحولات و تغيرات في المسارات التي تصنع التجربة و أفق الترقب في مسيرة الدولة الجزائرية، ولعلّ الغاية من هذا تكمن في الكشف عن العنف و الإرهاب الذي برز بشكل لافت في التسعينيات، و قد أثر بوجه أو بآخر على النص الجزائري، ويعنى ذلك أنه ينطوي على متغيرات جديدة في مسار الإبداع الجزائري، و بخاصة في الجنس الروائي الذّي تجسده النصوص الإبداعية الروائية التي نتفق على تسميتها من البداية بـ"أدب المحنة"، والواقع أن فترة التسعينات تجلت فيها المحنة وفرضت حضورها بقوة في الكتابة الأدبية.

ومن هنا يمكننا معرفة مجالات الإرهاب وأسبابه فضلا عن الجذور التي نَمَتْ منها وتجلياته سواء في تراثنا العربي أم في عصرنا هذا. فحضور الإرهاب في الكتابة التراثية طاغٍ بما يحمله من آثار الظلم والتسلط والتعصب والتطرف، وهو يحصل حين يقع الاصطدام بين الفكر والسلطة مما يفضي إلى اليأس، مثلما فعل

«ابو حيان التوحيدي» حين احرق كتبه تعبيرا عن خيبة الأمل التي آلَ إليها المثقف في عصره وفي علاقته بالسلطة.

2.تجليات الخطاب الديني في الرواية الجزائرية:

تعد الرواية من أرقى الفنون السردية التي يتم فيها انصهار الواقع بشتى تنوعاته وأبعاده، لأنها دائما بصدد خلق فضاءات تفاعلية و تواصلية تمثل الجسر الرابط بينها وبين قارئها، كما أن هذا الجنس الأدبي الفريد استطاع البروز في الواقع العربي والجزائري خاصة بتسليط الضوء على القضايا الراهنة فيه فيجعل الكشف عنها عبارة عن فرضية فكرية تبناها الكاتب ليعيد تركيبها وفق عالم افتراضي يشكله بنفسه، "فيرسم فيه عوالم وشخصيات وهمية تديرها أحداث مُشَكَلَة إما بإسقاط من الواقع أو غير الواقع، ضمن الدولاب الزمكاني، وهذا يعتبر مجابهة من طرف الكاتب للمجتمع " فلقد تحولت الرواية إلى كاميرا ترينا ما لا تلتقطه المقولات والمفاهيم وتسمعنا ما يهمس به الفرد المأزوم في خلوته والمحبَط في لحظات يأسه." [1]

فالنصوص الروائية تهتم أيَّما اهتمام بتصوير الواقع المعيشي للمجتمع بالتشعب في أبعاده الاجتماعية والسياسية، الثقافية وغيرها، وهي أساسا بإمكانها الإلْمَامُ بعدة مواضيع في النص الواحد " حيث تستطيع الرواية أن تهضم وتستثمر عناصر متنافرة كالوثائق والمذكرات والأساطير، والوقائع التاريخية والتأملات الفلسفية والتعاليم الأخلاقية، والخيال العلمي والإرث الأدبي والديني بكل أنواعه حتى لتكاد تبدو جنسًا بلا حدود." [2]

ومن هذا المنطلق نجد الرواية تجمع بين عدة خطابات مختلفة ومتنوعة بحسب ما يتساير مع موضوعها "وكما كانت الأحداث مرهونة بوجود شخصيات تَفْعلها، أو تنفعل بها، أولى النقد الروائي اهتماما كبيرا بالشخصية الروائية." [3] لأنه بفضلها يُخلَق التعدد في كل من الأصوات والنصوص مما يجعل أنواع الخطابات تتعدد في اختلاف الحوارات بين الشخصيات، وهنا يأتي دور الكاتب في مدىّ إسقاط الهيمنة على النوع الخطابي الذي يريد إبرازه فيدعمه بالحجة بواسطة أحداث في الرواية أو بواسطة دفاع الشخصية عنه في الرواية وسيطرتها على إظهاره، إما فعلاً أو قولاً ضمن تسلسل وقائعي لضمان تشكل البنية السردية " فليس

1. محمد برادة . أسئلة الراوية . أسئلة النقد . مطابع النجاح الجديدة . الدار البيضاء . المغرب . ط1 . 1996 . ص 22.
2. عادل فريجات . مرايا الرواية . دراسات تطبيقية في الفن الروائي . إنحاء الكتاب العرب . دمشق . د ط . 2000 . ص 9. 10.
3. المرجع نفسه. ص 12.

من المعقول أن يثبت الكاتب كل ما يحدث في الحياة، بل يختار من الأحداث، ويقتطع منها ما ينسجم مع تفصيلات القصة." [1]

وهذا هو شأن الخطاب الديني بالذات، حيث احتل مكانة واسعة في المتون السردية الجزائرية حيث واكبت الحركة الأدبية بالجزائر التحولات الجارية في البلاد، فقد كان الصراع في سبعينيات القرن الماضي بين يسار اشتراكي ويمين في ثوب ديني، امتدادا لانقسام العالم بيْن معسكرين: رأسمالي واشتراكي. فكان من الطبيعي أن ينعكس في الكتابة الروائية، وظهر ذلك بوضوح في "روايات للطاهر وطار التي أدانت الفكر الإخواني. في روايته «عرس بغل» حيث ظهر ذلك في شخصية «حسن الشيخ»، وفي رواية «الزلزال» في شخصية عبدالمجيد بو الأرواح، ويتكرر المشهد في «العشق والموت في الزمن الحراشي»، كما يُعالج بن هدوقة هذا الموضوع في «الجازية والدراويش» حيث يُصوِّر قرية يتنازعُها مشروعان، بحيث يظهر الخطاب الديني عائقاً في طريق الإصلاح."[2] وقد عدَّ النقاد هذه الكتابات التي عُنِيتْ الخطاب الديني في متونها انعكاساً لقضية الدين والفكر الإسلامي التي سيطرت على الكاتب بقناعة خالصة منه حتى مع ظهور فلسفة الإلحاد التي غذّاها التطرف في التدّين.

تعتبر الرّواية حاملة خِطابات مُتعدّدة لأجل أن تُشكل خِطابها الخاص، ولهذا فهي عبارة عن طبقات مُتعدّدة من اللّغة تُباشر عملها الحواري طالما كان هناك من يتفاعل مع مستوياتها الدلالية، فهي كحكاية تُخاطب المجتمع عن طريق الأحداث التي تدور فيه فتساعد على فهم بناء الحدث انطلاقا مِمَا يحدث في الواقع، إذ لا يمكن لرواية أن تنطلق من فراغ أو أحداث مجهولة تُؤسّس لوجوديتها، وهذا هو حال الخطاب الدّيني فيها؛ ولأنّ الرواية هي المرآة العاكسة للواقع المعاش فلها أن تمنح هي الأخرى هذا المكون الإنساني الهام –الخطاب الديني– نصيبا من متنها الحكائي، حيث لا نختلف في أنّ الرواية الجزائرية نشأت وتطورت في بيئة زمنية متخمة بالصراع الأيديولوجي في سبعينيات القرن الماضي مع مجموعة من الروائيين نذكر منهم الطاهر وطار، رشيد بوجدرة، عبد الحميد بن هدوقة، كاتب ياسين، جيلالي خلاص...، هذه الأسماء التي شكلت إلى حدٍ ما صوت الرواية الجزائرية، وهو الصوت الجمالي الذي يبرز الواقعية الاشتراكية من حيث العُمق والأداء والاستشراف، إذ نطقت الرواية الجزائرية في هذه الفترة بما نطقت به السياسة الوطنية وقتها

1. المرجع السابق. ص 10.

2. مخلوف عامر. الخطاب الديني في الرواية الجزائرية. يومية النصر. 1أكتوبر 2019. متوفرة على الموقع: https://www.annasronline.com/index.php

مُرسِخة أيديولوجيًا الفكر الشيوعي، ومع ذلك فقد قدمت الصوت الديني كنسق ثقافي يحتاج الحوار مرّة أخرى في سياقاته التاريخية ومدى جدواه اجتماعيًا.

ظهرت هذه الأيديولوجيات الجديدة في الرواية الجزائرية، فأُنْتِجَت عدة روايات تُمثله وتتبناه بصورٍ مختلفة منها "حراس النوايا" و"الورم" و"كراف الخطايا" و"الغيث" وغيرها من الأعمال السردية التي قدمت قراءتها للخطاب الديني، وهو ما أثبت استيلاء هذا النوع من الخطاب على الاهتمام الفكري لأنصاره وخصومه، ومعه تحول الدين إلى سياسة وتحول الفكر إلى أيديولوجيا، ليقترن الديني في الخطاب الروائي في الجزائر بالفهم الّذي أشاعه خطاب الحركات الإسلامية، حيث أساء هذا التحول السيء للخطاب الديني كنسق ثقافي احتاج لكثير من العُمق من أجل الفصل في قضيته التي استولت عليها الجماعات الإسلامية ودَنَّسَتْ بها الخطاب الديني المعتدل.

يُعتبر المجتمع بما يعجّ فيه من حركة وصراعات موطنًا للواقع الّذي ينطلق من قناعات الناس وثوابتهم ومتحصّلاتهم التفاعلية مع الآخر، وتراثهم الّذي أنجزته أيديهم. طبعًا هذا التفاعل الإنساني يشكل مُجمل التصورات والمفاهيم التي تلزم الذات نفسها بها في علاقاتها البينية وعلاقاتها مع الآخر باعتبارها الحصن الحصين لحفظ الهوية واستمرار الخصوصية، ولاشك أنّ فعل الرّواية هو خطاب يُواجه المجتمع بما يحمله من وقائع ومسارات وسياقات، أي بما يمثله هذا الخطاب من أنساق راسخة تحاول الرّواية أن تتموضع باعتبارها عاملا جماليًا في السياق الحركي للمجتمع، ومن هنا يأتي توظيف الدين في الرّواية الجزائرية كاستجابة أولا لِمَا تكرّس في تحولات الواقع، وبالتالي النظر إلى ما تحوّل في الواقع من خلال رؤية الرّوائي وقناعاته الإيديولوجية والجمالية.

لقد مرّ المجتمع الجزائري بثلاثة مراحل، مرحلة ما بعيد الاستقلال ومرحلة البناء والتشييد (الاشتراكية) ومرحلة الانفتاح، وتعتبر الرّواية كوثيقة فنّية متابعة جمالية لحركة الواقع مشتغلة على النقد الّذي يحرّكه الرّوائي وفق قناعاته، فمرحلة ما بعد الاستقلال تحكّمت فيها الرّؤية الجمالية لأحداث الثورة، "فروايات المرحلة كانت استمرارا للرّوايات المؤسّسة : محمّد ديب وكاتب ياسين، ورؤيتهما للدين كان يغلفها ذلك البُعد الثوري المفصلي في علاقته بحركة الشعب"[1]،وبالتالي يمكن القول بأنّ الخِطاب الديني كان منطويًا تحت الجماليات الثورية المنبثقة في النص الرّوائي، فلا تكاد تشعر بثقل الخطاب الديني في تحريره للوعي وتوجيهه نحو خلق المبادرة الفاعلة في مسار النضال الوطني؛ أما المرحلة الثانية، أي المرحلة التي هيمن فيها الخطاب

1. المرجع السابق.

الاشتراكي، بالنظر إلى الدّيني على أساس أنّه معيار لتأكيد توجّهات المرحلة، ويتجلى ذلك في روايات عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار، إذ بدا توظيف الخطاب الديني انطلاقا من إيديولوجية قائمة في وعي الرّوائي الّذي لا يتعامل مع الخطاب الديني سوى في مستواه الشعبي وهو "ما يمنح الروائي مجالا أوسع لنقد الرؤية الدينية السائدة انطلاقا من المقاصد الاشتراكية التي تجعل من الدين مكوّنا اشتراكيًا وعليه أن يُساهم في نقد الإقطاع وتكسير هيمنة البرجوازية وتقوية خطاب العدالة الاجتماعية"[1].

والمرحلة الثالثة هي مرحلة تم فيها تغيير مجال الدين برُمَّته بسبب الموقف الذي تبنته الجماعات الإسلامية، فقامت بتغيير مضامين الخطاب الديني وتحريفه عن سابقه، مما فسح المجال للعديد من الروائيين أمثال "محمد ساري"، "الطاهر وطار"، "واسيني الأعرج"، "رشيد بوجدرة" وآخرون بأخذ هذا التغيير كأساس لمتونهم السردية من خلال تأثرهم بتلك الفترة والتي كانت منبثقة أساسا عن الوضع الدموي الذي مرت به الجزائر آنذاك، مما جعل هؤلاء الكتاب والروائيون يحاولون إظهار العديد من الجوانب الخفية للخطاب الديني عن طريق رواياتهم؛ والأهم هو تركيزهم على الشخصية المثقفة في المجتمع باعتبارها الركيزة في بنائه لأن استهداف الجماعات الإسلامية لهذه الفئة بالذات لها غرض وبعد سياسي يُسقط الدولة إذ ما تمَّ التحكم فيهم أو القضاء عليهم، مثل:- رواية" سيدة المقام 1995 " لواسيني الأعرج البطل أستاذ جامعي.

- رواية" ذاكرة الجسد 1993 "لأحلام مستغانمي البطل فنان تشكيلي.
- رواية "تيممون 1994 "لرشيد بوجدرة البطل دليل سياحي.
- رواية" الشمعة والدهاليز 1995 " لطاهر وطار البطل أستاذ جامعي وشاعر.
- رواية" دم الغزال 2002 "لمرزاق بقطاش البطل كاتب و عضو المجمع الاستشاري.

بعد هذه المراحل نجد الالتفاتة كانت نحو تجديد الخطاب الديني ومحاولة نزع الشوائب عنه وإعادة إظهاره بوجهه المقدس والذي كان عليه سابقا بالرجوع إلى مرجعياته الدينية الإسلامية الصحيحة.

وما يمكن تفسيره بعد كل ما سبق هو أن أساس الخطاب الديني كان معتدلا وسويا وما تحريفه وتدنيسه إلا بعد ظهور الجماعات الإسلامية التي حولت مضامين الخطاب الديني إلى أخرى مغايرة تماما، وهذا بسبب التعصب والتشدد في الرأي واستعمال النصوص الدينية في غير موضعها الأصلي.

1. ينظر: زغليط عبد العالي. الخطاب الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة. أطروحة دكتوراه. جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2. 2016.2017. ص114.

الفصل الثاني:

تمظهرات الخطاب الديني في رواية (الورم)

"لمحمد ساري"

أولا. في رواية "الورم"

1.قراءة في العنوان

2.تأثير العشرية السوداء على الرواية –الورم–

ثانيا. تفعيل الشخصيات للخطاب الديني ودورها في بناء الحدث

1.الشخصيات الدينية والوعي الزائف

2.تأثير الخطاب الديني المتطرف على الشخصية السّوية وتحويلها

3.دلالة المكان وتأثيره في توجيه الخطاب الديني المتطرف

ثالثا. المرجعية الدينية في رواية "الورم"

1. توظيف الرواية للنص الديني

2.أشكال توظيف الخطاب الديني

3.تبعات التطرف وتدنيس الخطاب الديني

حظي الخطاب الديني بتوظيف مكثف في الرواية الجزائرية، وذلك يعود إلى وعي الروائي بالتحولات الكبرى التي شهدها الواقع ونتيجة للأزمة السياسية التي عاشتها الجزائر نهاية الثمانينيات والتي انعكست ظلالها على المجتمع، عشرية كاملة غرقت فيها البلاد آنذاك في حمام من الدماء وفوضى عارمة لم يسلم منها أحد، ولم يكن الكتاب الروائيون ببعيدين عما يجري من أحداث وقد تقودها بشكل فني في أعمال روائية خالدة نقلت بحرفية تفاصيل ما حدث، ومن بين هذه الأعمال نذكر رواية "الورم" لمحمد ساري التي نقلت بصدق مجريات أحداث دامية عاشتها الجزائر.

أولا: في رواية الورم

1: قراءة في العنوان "الورم"

يعتبر العنوان المحطة الأولى التي يقف عندها القارئ ليحدد إمكانية مروره إلى المتن الحكائي أو الرجوع وإلغاء فكرة القراءة، لأنه –العنوان–المساهم الأول في إغوائه، فنجد عنوان الرواية التي نحن بصدد دراستها مُعبرة على ما يحتويه النص السردي "الورم"، وذلك لا يمكن اكتشافه إلا بعد التوغل والتعمق في جميع التفاصيل التي سردها الكاتب في متنه الحكائي؛ فنجد دلالة "الورم" الحقيقية المتمثلة في ذلك الانتفاخ والنتوء والألم والمرض متجسدة في أحداث الرواية بصورة واضحة جدًّا، فالكاتب أسقط دلالة العنوان في المتن بعدة أبعاد وهي:

أ: البعد السياسي:

فنجد "الورم" في تطرف الجماعات الإرهابية في الجبال والأماكن المهجورة بحيث لا يسلم أحد من إغاراتهم وبطشهم الذي يرسلونه إلى كافة أنحاء البلد تمامًا مثل تطرف "الورم" في جسم الإنسان وإرسال المرض ومختلف الآلام إليه، وبوادر أعراض "ورم" وادي الرمان المتمثل في التطرف المسلح، ظهر ذلك أثناء تمرد "يزيد لحرش وعدد من شباب القرية وشكلوا مجموعة مسلحة لجأت إلى الأحراش والغابات المجاورة، لا تتوقف عن الغارات المتكررة."[1]

كما نجد "الورم" ينطبق على الدولة الاشتراكية في بعدها السياسي والتي بدورها مارست شتى أنواع التشدد على شعبها، فأنتجت بصورة آلية ذلك التفرد في الرأي الذي يصعب على الشعب تقبله، مما جعل الحقد والغضب يتراكم لديهم فيحولهم إلى عصاة للقانون جاهزين للتمرد في أي لحظة، يقول "علي بن

1 محمد ساري. رواية الورم. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص7

محمد": "لا أتقن أي عمل، وبما أنني رجل حرب فلماذا لا أقوم بحرب حقيقية ضد السلطة المرتشية التي تحكم البلاد، إن الرجال الذين يمسكون دواليب السلطة متعفنون، ظالمون(...) يصرفون ويبذرون دون أدنى تفكير في الشعب المسكين (...)لا يعرفون شيئا عن أوضاع البلاد التي آلت إلى الهاوية."[1]

كل هذه الأحداث تمثل خلفيات "للورم" الذي يُفْضِي إلى أحداث دموية متعددة ومتكررة "الجثث المخيطة بالرصاص أو المذبوحة أو الملقية على حافة الطرقات مثل جثث القطط والكلاب والخنازير البرية."[2]

تُمَثل هذه الأحداث سلسلة مترابطة تبدأ من الأزمة الوطنية وتشددها على الشعب ثم الانتفاض والحقد ومن ثم التمرد واللجوء إلى الجبال والتحول إلى الإرهاب وهو ذروة التقرح والتورم في المجتمع.

ب: البعد الاجتماعي:

نجد دلالة "الورم" في المجتمع بذلك الانقسام المشين بين أفراده والتشتت والهروب من السلطة إلى التمرد المسلح الذي يرونه بَرًّا للأمان "راج خبر اعتقال كل الذين شاركوا في احتلال الساحات العمومية وتظاهروا بصخب في الشوارع."[3]

لم تعد فكرة حرية الرأي لها مفعول، من جهة الجماعات المسلحة "سلوكهم يتسم بالغرور والزهو والانتصار، يتحدون غيرهم ويمطرونهم بوابل النظرات الإحتقارية ويتوعدونهم بأشد العقوبات بعد أن يستولوا على السلطة."[4]

ومن جهة تفريط الدولة في شعبها "فوضى عارمة سادت البلاد لا رئيس لا مرؤوس."[5]؛ أسباب متعددة لتعدد تشكل "الأورام" في البلد الواحد وبين أفراد الشعب الموحد الذي استطاع أخذ حريته من المستعمر بكل فخر واعتزاز.

1. الرواية. ص149
2. الرواية. ص13
3. الرواية. ص 17.16
4. الرواية. ص 18
5. الرواية. ص 18

ج: البعد النفسي:

"الورم" يكمن في نفسية شخص منقسم التفكير في الرواية، بين تشاؤم واستسلام وبين قرار ممزق في إمكانية الالتحاق بالتمرد المسلح أي الخيانة للأهل والوطن، أو الخضوع للسلطة المتحكمة والانكسار والضياع.

"ورم" هو نفسية كريم بن محمد " تفتت أحلام كريم إلى قطع صغيرة طفق الريح ينثرها بعيدا وسط حفر لا عمق لها، الصحفي الذي اختاروه ليقوم باغتياله هو أخ جميلة، تلك الفتاة التي ملأت لياليه بأحلام لذيذة."[1] شعور بالإثم والخيانة خانقٌ بالنسبة لكريم في كيفية التحول من شخصيته العالية الرتابة إلى إرهابي مستعصي خارج عن القانون منبوذ من طرف المجتمع، و"الورم" هو تلك العتمة التي يدور فيها كريم دون مخرج منها وهو –الورم– وهو ذلك الشعور الذي يثقل كاهل عبد القادر ووالده عندما استجابوا للجماعة المسلحة وأخفوا الحقيقة عن الدرك في ليلة سرقة الفرغون الخاص بهما " ليحرقوا الفرغون، حياة ابني تساوي الدنيا وما فيها (...) إنهم حذروا ابنك من الاتصال بالدرك هذه الليلة(...) إياك أن تخبر أحدا بهوية يزيد (...) استعد الآن لمواجهة أسئلة الدرك وربما الشرطة ، ما نعرف والو ، ما شفت والو ما سمعت والو ..."[2] يبقى الخوف والتخوف من أهم أسباب تشكل "الورم" في النفس، وشعور الفرد بتلك الغصة وعدم الارتياح منها هو تكثف حجمه وازدياد تأثيره على الانسان.

2: تأثير العشرية السوداء على الرواية –الورم–

تعتبر مرحلة العشرية السوداء حافلة بالكتابات الروائية التشاؤمية حيث أخذت طابع الحزن في رؤيتها التي وثّقت لتاريخ مرحلة هامة من تاريخ الجزائر والتي لا تقل أهمية عن مرحلة الثورة التحريرية.

وكأي كاتب متأثر في تلك الفترة نجد الروائي "محمد ساري" رهينا للواقع، كما أن الواقعية كانت له المجال الأنسب لتجلي الفكرة ورصدها بشكل واضح أكثر، خاصة أمام واقع متذبذب لا يعرف ما هو مصيره "فلا يمكن نقل الواقع المضطرب نقلا بعيدا عن معاناة المجتمع ولا يُنْقَلُ الغموض بغموض آخر." [3] وهذا ما أتت عليه رواية "الورم" بالذات؛ فعلى غرار كونها ذات أحداث واضحة اتخذ الكاتب فيها زاوية رؤية جد

1. الرواية. ص 39
2. الرواية. ص 76.75
3. سامية داودي. الكتابة الروائية والاجتماعي المتحول. قراءة في روايتي "بوح الرجل القادم من الظلام" و "صمت الفراغ لإبراهيم سعدي. مجلة الخطاب. ع5. 2009. ص100.

مساعدة للقارئ كي يفهم أكثر ويغوص في أحداث الرواية دون تطويل حبال أفق الانتظار حيث تعد هذه الرواية من الروايات التي جسدت الواقع المرير الذي عاشته الجزائر في تلك الحقبة، كُتِبَت عام 1995م أي أنها كتبت خِضَمِّ الأزمة ويصفها "محمد ساري" بأنها واقعية لأن "وقائع كثيرة متشابهة لأحداث الرواية حدثت فعلا في مناطق متباعدة من الوطن، وكثير من القراء اندهشوا لقوة التشابه بين أحداث الرواية وبين ما يجري في الواقع."[1]

وصف رواية "الورم" للأحداث الوحشية التي جرت بالفعل آنذاك صَنَّفها ضمن قائمة "روايات الأزمة" او ما يسمى "بروايات المحنة" بسبب أنها كتبت لغاية وهدف محدد وهو تأثُّر الكتاب بتلك الفترة من الزمن حيث أن رواية الأزمة هي "تلك الكتابات والنصوص التي كتبت تحت ضغط الأحداث لتسجيل الوضع الجزائري الراهن وتُنَدِدَ بقتل ذاتية الإنسان، كما أنها نمط يتخذ من الفتنة الجزائرية سؤالا مركزيا لمتنه الحكائي تتوالد منه سمات الموت والإرهاب والرعب والمنفى." [2]

عكست رواية "الورم" موقف المؤلف من الوضع الدموي الذي لا شك أنه تعاطى مع موضوع الأزمة في روايته، كما أنه ربط العنف بالدين والسياسة؛ مزيج من كتابة إبداعية تمحورت حول العشرية السوداء بواقعها المتسخ وراهنها المرير.

ثانيا: تفعيل الشخصيات للخطاب الديني ودورها في بناء الحدث

1. الشخصيات الدينية والوعي الزائف:

تعد الشخصية عنصرا هامًا في بناء الرواية، لها دورها المتميز ومكانتها الهامة، لأنها تقدم للقارئ التجربة الانتمائية التي يريد الروائي من خلالها موقفًا فكريا ورؤية خاصة إزاء موقع محدد تعيشه شخصياته الروائية، ويمكن القول أن ما أكسب الرواية التميز على غيرها من الأشكال الأدبية الأخرى هو اعتمادها الكبير على الشخصية، وعلى غرار التقسيم المعروف للشخصيات الروائية على أنها رئيسية وثانوية نجد تقسمات أخرى يمكن بفضلها تصنيف الشخصيات بصفة مغايرة والجلي ذِكره هنا هي الشخصية الدينية في الرواية " حيث

1. حوار الخَيِّر شوَّار مع "محمد ساري" في اليوم الأدبي. نقلا عن آمنة بن لعلى. المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف. دار الامل للطباعة والنشر. الجزائر. 2006. ص148.

2. عمر بوذيبة. رواية الأزمة. المجلة الثقافية الجزائرية. 2014/12/26. متوفرة على الموقع:
https//thokofa mag .com/?p=4229#:~ :text=

تعتبر نموذجا ثقافيا تحاول الرواية التعبير عنه بطريقتها الخاصة، كون هذا النموذج يمتاز بخصوصية تميزه عن باقي النماذج الأخرى التي تقدمها الراوية، فهي من أكثر الشخصيات شيوعًا وتأثيرًا في الإنسان عبر العصور"[1]، وهنا نجد شخصيات الجماعة الإسلامية في رواية "الورم" هي التي تتبنى موقف الشخصية الدينية باحتراف ولكن ضمن سياق التطرف والعدول عن الخطاب الديني السوي، وهذه الشخصيات هي "يزيد لحرش" ،"أحمد درّيج" الملقب "بالأفغاني" و"بوشاقور"، حيث لا يخلو أي حوار تقريبا إلاّ وتخلله خطاب ديني، والبداية كانت عند طلب هذه الجماعة من كريم بن محمد الحضور إليهم في حوش غريس لتكلفته بأبشع مهمة كُلِّفَت بها إلى حد الساعة من قبل صديق طفولته الذي بدأ حديثة باسترسال خطاب تمهيدي طويل.

" اصطف الجميع خلف الأفغاني وأدوا الصلاة، ثم واصل يزيد خطابه وهو يتفرس في قسمات وجه كريم... كلام يزيد خليط بين الفصحى والدارجة."[2] أكثره استشهادات قرآنية وأحاديث نبوية وأسماء لفقهاء مشهورين ومغمورين"

تظهر شخصية يزيد في نمط ليست له قابلية للحوار والمناقشة، متمسك برأيه ومتيقن بأنه على صواب، مؤيدًا إياه بقية الجماعة الإسلامية ـ الإرهاب ـ باعتقادٍ منهم على أن هذا هو الجهاد في سبيل الله " لا تخيب أملنا أخ كريم (...) العملية مهمة ولها بعد إسلامي يتجاوز الحدود ". [3] وهنا نجد استعمال البعد الديني على كريم بن محمد يسري مفعوله بالرغم من كونه إنسانا واعيا ومتعلما ومثقفًا إلاّ أن سجنه الغير مبرر من قبل السلطات أثناء مظاهراتهم في أكتوبر 1988، ورؤيته لشتى أنواع التميز في المعتقل أضحى هاجسًا يفرق بينه وبين الصواب، " هكذا مع مرور الأيام فتر الاحترام الذي كان كريم يكنه للأمراء والخطباء والدعاة (...) ما فائدة الخطب الرنانة والنصائح النبيلة إن لم يلتزم أصحابها بتطبيقها في حياتهم الخاصة قبل غيرهم بدأت خطبهم تشبه خطب المسؤولين على رأس الدولة الذين يقولون ما لا يفعلون بل ويكذبون علانية ودون خجل " [4].

1. نور الدين بن نعيجة، الشخصية الدينية والوعي الزائف في المتن الوطاري، تجليات الخطاب الديني في السرد الجزائري المعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر، ط1، 2020، ص 398.
2. ص 17.
3. الرواية. ص 24.
4. الرواية. ص 21.

أخذ لقاء كريم بن محمد مع الجماعة الإسلامية منحى آخر لم يكن في الحسبان فقد طُلِبَ منه قتل صديق له يعرفه حق المعرفة.

جرت الأحداث بدأ كل فرد من الجماعة المسلحة بإعطاء خطبة بصدد الإقناع والتبرير لشتَّى الأعمال الوحشية التي يقومون بها.

" ها قد استنجدنا بربنا وسينصرنا على الظالمين الطغاة، رد أبو شاقور: آمين يارب العالمين "[1].

وليس هذا فحسب فكل أعمالهم الشنيعة لها اسم وحتى هذه المرة فحرق دار البلدية بما فيها من بنايات وسيارات وكل ما تحتويه سمي بالجهاد والعمل المبارك في قول يزيد لحرش " سيارة المير هنا... حضنا سعيد هذه الليلة... سَنُدَشِنُ بها عملنا المبارك ". [2]

أفراد انعزلوا عن الواقع المعاش وتخلوا عن عائلاتهم فخلقوا لأنفسهم مكانة تأويهم تحت شعار الجهاد والكفاح في سبيل الله " لم يعد الأخ هو ذاك الذي يشترك معك في انتسابه إلى ام واحدة وأب واحد، بل الأخ هو صاحبك في الجهاد حتى ولو كان من أقصى الدنيا". [3]

أضحى للخطاب الديني منحى آخر بين أيدي هؤلاء المتمردين فهم يأخذون القول من الدين بالحرف ويسمون كل مخالف أو متساهل عدوًا ونسو أن الله لا يكلف نفسًا إلاّ وسعها، كما أن الله طلب من رسله وأنبيائه أن يجادلوا الناس بالتي هي أحسن ويدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فأين هذه الجماعات من القرآن والسنة ومتى كان قتل نفس مسلمة دون سبب مباحًا بل جهادًا ولهم الأجر في ذلك، كما أن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار تنتظرهم خالدين فيها، تفكير خلقوه ثم آمنوا به، وهذا ناتج عن الاعتقادات الباطلة للدين الإسلامي.

1. الرواية. ص 84.
2. الرواية. ص 81.
3. الرواية. ص 43.

2. تأثير الخطاب الديني المتطرف على الشخصية السوية وتحويلها:

كريم الرجل المسلم المتعلم البشوش ذو الشخصية الطيبة يتحول جذريا إلى قاتل ومجرم ضمن جماعة السفاحين الذين يدعون أنفسهم بالمجاهدين في سبيل الله، تَحَوُّلٌ جذري من إنسان لا يعرف الأذية حيث كان أخوه علي بن محمد الشاهد الأول على ذلك " أنت كريم المسالم، الذي لم يذبح دجاجة في حياته ستقتل رجلاً؟".[1]

تعددت الأسباب وفي كل مرة كريم يضع افتراضًا سهلا يناسبه ويساير أفكاره، فالبداية كانت خيبة الأمل التي رافقته طيلة مدة سجنه في أقصى الصحراء حيث " أضحى كريم يدقق النظر في سلوك الأمراء ليكتشف الامتيازات الهائلة التي منحوها لأنفسهم ".[2]

اختلطت المواقف في ذهن كريم وتشابكت الصور محاولا استعاده صفاء ذهنه ليتمكن من رسم درب يمكنه من إكمال مشوار حياته، وحتى هذه اللحظة الشك هو المسيطر الوحيد على وضعه خاصة تلك الأسس الشرعية التي أسند إليها المسلحون فتاواهم المباحة للقتل والاغتيال " وحسب فتوى حديثة العهد من أمير الجهاد المسلح، يبيح الإسلام قتل كل الذين يشغلون في مؤسسات السلطة كما يجوز شرعًا حرق وتدمير وإتلاف أملاك هذه المؤسسات العمومية لإضعاف السلطة، تمهيدًا لإقامة الدولة الإسلامية."[3]

شخصية كريم التي تتَّصف بالاعتدال بدأت بالانزياح لأن كل ما يدور حوله يقر له بأن الجماعات المسلحة تريد العدل والعدالة كما أنها تهدف إلى بناء دولة مسلمة، فلغتهم التي لا تخلو أبدا من عنصر التفاؤل والتَّمَنِّي لِبناء دولة إسلامية عادلة جذبته إلى أعماق فوهتهم المظلمة، فَبدَأ من إجبارية الخضوع لهم وتنفيذ مهمة اغتيال صديقه وأخ حبيبته جعل من كريم شخصا آخر تمامًا، لكن لم يعد هذا يثقل كاهله.

" إن أصدقائي الجدد لا يملون من التكرار بأن أفعالنا كلها جهاد في سبيل الله ومهما بدت غريبة وعنيفة أحيانا فهي ضرورية لإقامة الحق والعدل وتوحيد صف المسلمين، مدعّمين أقوالهم بالآيات والأحاديث وأقوال الفقهاء، ما دام الهدف نبيلا، فإن الوسائل المستعملة ليست ذات أهمية"[4].

1. الرواية. ص 146.
2. الرواية. ص 20.
3. الرواية. ص 146. 147.
4. الرواية. ص 197.

بدأت الأحداث تأخذ منعرجًا غير متوقع إطلاقًا، وتتحول هذه الشخصية النبيلة إلى مجرم حقيقي يسند إلى الخطابات الدينية المزيفة والفتاوى الغير معقولة ويبيح تصرفاته، فقد بات هذا الأخير معجبًا بحياته الجديدة حيث بعد إرغام التجار على دفع ضرائب مجهولة وجمع أموال كثيرة تحت لغة العنف والإجبار والتهديد قام كريم ويزيد وبقية الجماعة بتقسيمها على أنفسهم؛ حياة لم يكن يتوقعها أبدًا.

" اشترينا ملابس جديدة، فاخرة أكلنا ما طاب ولذّ من المأكولات (...) لم أكن أتصور حياة الجماعة على هذا البذخ من العيش (...) آه نسيت ... في المدة الأخيرة تكلم الأفغاني عن زواج المتعة وقال بأنه حق شرعي للمحاربين في سبيل الله، أكد بأن البداية ستكون مع سبايا الحرب، سنستقدم بعضهن مع أول فرصة سانحة، أظن بأنني وجدت ضالتي بين إخوة الإيمان والجهاد في سبيل الله". [1]

يستمر التطور في هذه الشخصية نحو ما لم يكن في الحسبان وتأثير يزيد وجماعته على كريم أصبح في قمته، يريد أن يكون أميرا على جماعته وتطور غِلُّهُ وحقْدُه على سلطة الطاغوت يكبر كل يوم، وبات كريم ضمن كبار الجماعة إذ عَيَّنَه يزيد لحرش نائبه الأول وأعطاه لقب المجاهد الحقيقي بسبب قتله لأول ضحية له بمحشوشته والتي كانت أبا لدركي، وذلك بعد عدة تهديدات له لإخبارهم بمكان تواجد ابنه " ستخبرني عن مخبأ ابنك أو أفجر لك مخك..."، " ستقول لنا أين ابنك أو نقتلك في مكانه". [2]

حركة بطولية ختم بها كريم هذه الجريمة الشنعاء، أطلق وابل الرصاص على الرجل الجاثم أمامه " تضببت رؤيتي نهائيا تراجعت إلى الوراء، ها قد تغلبت على ترددي اللعين، المرة المقبلة سأكون أسرع سأواجه نظرات عدوي لأرى الرعب في عينه." [3]

أصبح "كريم" ذلك الشخص المتعلم المثقف قاتلاً محترفاً، تحَوُّلٌ غَيَّرَ فِكْرَه السابق والمسالم إلى تعصُّب وتشدّد يحمله ويتقاسمه أفراد الجماعات المسلحة، وهم مستعدّون به لمحاربة كل القطاعات التابعة للدولة باسم الجهاد والكفاح والتأسيس لدولة إسلامية جديدة أساسها تطبيق العدل وكافّة الشرائع الدينية.

لم يكن كريم بن محمد وحده المتأثر بهذه الجماعات المسلحة بل أخوه علي بن محمد أيضا متواجد ضمن خانة المنقلبين على السلطة باعتباره ضمن جنودها سابقا حيث كان يعمل عسكريا لدى دولة الطاغوت

1. الرواية. ص 207.
2. الرواية. ص 291.
3. الرواية. ص 291.

كما يسمونها، " لا أتقن أي عمل، وبما أنني رجل حرب فلماذا لا أقوم بحرب حقيقية ضد السلطة المرتشية التي تحكم البلاد؟ إن الرجال الذين يمسكون دواليب السلطة متعفنون، ظالمون، يستغلون خيرات البلاد لأنفسهم وذويهم (...) يجهلون مشاغل المواطنين، لا يعرفون شيئا عن أوضاع البلاد التي آلت إلى الهاوية."[1]

يعتبر هذا الموقف الداعم لفكرة الجماعة المسلحة حيث يضمون العدل والعدالة ضمن خطبهم المتكررة ويزعمون أن الانخراط في جماعاتهم سوف يبني أمة إسلامية موحدة تسودها المساواة والعدل.

3. دلالة المكان وتأثيره في توجيه الخطاب الديني المتطرف

تتشكل الرواية من عناصر فنية منسجمة، تقوم على ترجمة المسار السردي للخطاب الروائي، فنجد فيها الشخصيات، السرد، الحوار الزمان والمكان، إذ أنّ هذه الأخيرة لها أثر عميق في نسج بنية النص، فالمكان هو ذلك الوجود الذي يُسَيِّر فيه الكاتب أحداث روايته كما أنه مثل الركيزة التي لا يمكن الاستغناء عنها في أي عمل سردي، وهو الحَيِّز الذي يستوعب الرواية بكل تفاصيلها؛ وتتأكد أهميته بحكم الوظيفة التي يؤديها للحيّز الذي تشغله الأحداث، فالرّواية قائمة أساسا على المحاكاة، ولابد لها من حدث، وهذا الحدث يتطلب بالضرورة زمانا ومكانا، إلاّ أن المكان الرّوائي هو الذي يستقطب اهتمام الكاتب وذلك أن الروائي يتخذ منه إطارًا ماديًا يستحضر من خلاله سائر العناصر الروائية.

إن المكان الروائي "عنصر أصيل ومكون أساسي لا يمكن التغاضي عنه أو إغفاله في دراسة النص، إذ أن الشخصيات تتحرك في حيز مكاني والأحداث لا بد لها من مكان تقع أو تدور فيه كما أنه لا يعد عنصرا تزيينيا تكميليا يأتي لتحقيق غاية جمالية بل يأتي في الرواية الجديدة كَمُكَوِّن أساسي تفقد الحكاية رؤيتها وبنيتها الدلالية بدونه ليبدو النص ناقصا ومبتورا."[2] لأن المكان يتحول إلى فضاء لفرض الحدث واعطائه سمة خاصة، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف.

1. الرواية. ص 149.

2. نجلاء مشعل. تحليل الخطاب الروائي" النسوي نموذجا". مصر العربية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 2014. ص114 .

وبما أن المكان من أهم عناصر العمل الروائي، ذلك أنه يقوم بدور فاعل في بنائها وتركيبها فإنه بالضرورة منطلق الأحداث وفيه تسير الشخصيات، فهو عنصر مهم في تماسك شخصيات الرواية وأحداثها. وفي هذا الصدد سنحاول رسم ملامح المكان في رواية "الورم" عن طريق تصنيف الأمكنة بحسب أهميتها فيها:

أ. حوش غريس:

حوش غريس كما هو وارد في الرّواية" :بناية قديمة، على حافة الانهيار التام، تقع على بعد كيلومترات من وادي الرّمان، خزّانات إسمنتية استخدمت لمدّة طويلة، لتخمير عصير العنب أيام كانت كلّ الأراضي المحيطة بالقرية مغروسة بالكروم، يستخرج منها أعتق الخمور، أمّا اليوم فلم يبق من هذه الكروم إلاّ النزر القليل، اعتبرت السلطة الوطنية هذه الكروم إحدى مخلّفات الاستعمار، فأمرت بقلعها من جذورها، لتعويضها بالقمح والشعير والخضر والفواكه، فبقيت الخزّانات الكبيرة مهجورة، عرضة للهدم والدّمار."[1]

نلاحظ من خلال ما أَورَدهُ الكاتب في هذا المقطع السردي أن "حوش غريس" هو وكر الجماعات المسلحة، وقد تم اختياره بالذات لانزوائه وبُعده عن القرية وأعين كل من أهل وادي الرمان والفِرَق الأمنية، ما يجعله مثاليا للتخفي عن الأنظار مما يساعدهم على إنجاز مخططاتهم الإرهابية دون أي إزعاج لأنه مكان منفرد بامتياز، بالإضافة إلى هذه الصفات "لحوش غريس" يمكن أن نضيف صفة القدم والإشراف على الانهيار على أنها الصفة التي لم تُكْسِبْهُ لَفْتَ الانتباه من قبل الشعب والدرك، بل كان ذلك تعزيزا للمكان بحالته المظلمة والفارغة مما يبعث زيادة في الشعور بالخوف والرعب اللذان ينفر منهما أفراد قرية "وادي الرمان"، حيث يصف كريم البناية "لاحت من بعيد البناية المهترئة، فضاعفت مخاوفه،(...) كانت البناية تسبح في ظلام جزئي وفي صمت اطمأن لهما."[2]

ليس "حوش غريس" وحده الذي يلجأ إليه "يزيد لحرش" وجماعته بل المأوى الأول لهم كان الغابات والأحراش والجبال "أحداث مهولة جرت في القرية، غيرت أشياء كثيرة، البعض من الذين نجوا من قبضة الأمن سرقوا أسلحة والتحقوا بالأحراش والجبال المجاورة وهم لا يتوقفون عن الغازات على القرية"[3] حيث يتهافت الكثير ممن لهم عداوة مع الدولة أو مع أي فرد له علاقة بها إلى جماعات التمرد المسلح حيث يجدون كامل حريتهم في التصرف والانتقام وعلاوة على ذلك يصنفون في قائمة المجاهدين في سبيل الله مما يعني أن كل تلك الاغتيالات والغارات حلال، وماهي إلا تمهيد لقيامة دولتهم.

1. الرواية. ص13.
2. الرواية. ص14.
3. الرواية. ص12. 13.

ب. المسجد:

يوظَّف المسجد في النصوص الروائية على أنه" بنية ذات أثر إيجابي في توجيه السلوك وتهذيبه."[1] والمسجد مكان للعبادة والصلاة وملاذ كل شخص يطلب الراحة والسكينة والعلم، مما يجعل الأمان والاستقرار من صفاته، والراوي المسجد في المتن السردي للرواية أجرى مقارنة بسيطة لهذا الفضاء المكاني بين حاضره في العشرية السوداء وسابقه "كان المسجد شبه فارغ، الشيء الذي لاحظه كريم منذ عودته هو أن المسجد لم يعد مكتظا بالناس مثل السابق، يفضل الناس إقامة الصلاة في بيوتهم، لم يعد المسجد مكانا للعبادة بل أضحى حلبة للمناوشات الحزبية والنقاشات البيزنطية العقيمة."[2] لم يُفْقِدْ الراوي للمسجد صفاته الأساسية كبيت من بيوت الله هباءً بل قصد ذلك ليُميز للقارئ بشاعة تلك الفترة ومدى تأثيرها على الفرد آنذاك، فقمة التأزم والخوف وصلت حتى إلى المساجد التي طالما اعتُبِرت ملاذًا للأمان، كما أن أفراد المجتمع لم يَفرُّوا منه بدون سبب بل لأن أفراد الجماعات الإسلامية المسلحة اعتمدت بصورة كبيرة على المساجد لنقل الخطابات التي يريدون من الشعب تنفيذها ما يعني أنهم قريبون جدا منهم دون أي إشْعَار من أحد ولنأخذ مثالا على خطاب هذه الجماعات الذي يعتبر مثل بلاغ وتهديد في الوقت نفسه، والذي عُلِّقَ في باب مسجد قرية وادي الرمان في صباح ذات يوم:

" بسم الله الرحمان الرحيم

نتقدم إلى الشعب المسلم بهذا الخطاب المبارك لنبلغه بأن تعاليم الشريعة الإسلامية فرض على جميع المسلمين دون استثناء، ولما رأيناه من تهاون البعض على احترام هذه السنن القرآنية نذكر بأن احترامها يعد من الواجبات المقدسة التي ينبغي على كل مسلم أن يعمل بها (...) وسنسهر بصرامة على تطبيق هذه السنن الربانية، ننذر المخالفين بعقاب شديد وسوف لن نتسامح مع أي فرد يخالف أوامرنا مهما كانت سلطته ومهما كانت ثروته، أعذر من أنذر.

الجماعة الإسلامية المسلحة"[3]

لغة العنف بادية في خطابات الجماعات الإرهابية حيث تحملها الألفاظ التالية بمعاني متعددة" الصرامة في تطبيق الحكم، العقاب الشديد، لن نتسامح" مما يجعل أفراد وادي الرمان يرتعبون في كل مرة يجدون فيها هذا النوع من الخطابات والذي يجعل البعض منهم يطبق أو حتى ينخرط ضمنهم تخوفا من العواقب التي يرونها تُنفَّذ كل مرة بِتَفنُّن إجرامي مختلف، لاسيما أن المسجد هو همزة الوصل بينهم وبين الإرهاب، وحتى دون هذه الكتابات المعلقة بالأبواب، فقد كان التواصل مباشرا بين أحد الإرهابيين المجهول الهوية وكريم بن

1. محمد إبراهيم. تجليات المكان في السرد الحكائي. فضاءات للنشر والتوزيع. الأردن.2009.ط1. ص121.
2. الرواية. ص 11.
3. الرواية. ص 164.

محمد حتى أنه كان دون أي سابق إنذار "في لحظة ما شعر برجل يجلس بجانبه لم يعر الأمر اهتماما(...) يزيد لحرش يريد ملاقاتك(...) لا تتحرك كثيرا وانظر أمامك(...) نحن بحاجة إلى خدماتك ولا يمكن أن نتحدث هنا بطمأنينة."[1] وفي خطاب آخر له يقول: "انشغل كريم بالوضوء ولم يشعر لبوشاقور بجانبه(...) لماذا لم تنجز مهمتك بعد؟ يزيد لحرش غاضب جدا من هذا التأخير."[2] كان المسجد المكان الوحيد الخالي من الشبهات ليكون مكان التواصل بين الجماعات المسلحة والأفراد المستهدفة ذلك أنه مكان لسائر الأجناس البشرية دون التفريق ودون التمييز بين واحد على الآخر، فاستغله الإرهاب لصالحهم أسوء استغلال.

ج .المقهى:

يعتبر المقهى مكانا حاسما مشتركا للأمكنة التي يحيا فيها أفراد وادي الرمان، وهو بمثابة محطة رابطة بين أمكنة العيش وأمكنة العمل وأمكنة الترفيه، ثم هو المكان المختزل لكل هذه الأماكن كما يؤدي دورا حيويا بين الأفراد للخروج عن ملل الحياة اليومية. كما أنه مكان يستقطب كلّ الفئات الاجتماعية على تنوع مشاربهم وتباين مستوياتهم الثقافية، ويعكس المقهى في رواية" الورم "صورة عن الحالة الاجتماعية والسياسية لأهل القرية حيث يُجْرِي الرّوائي مقارنة بين مقهى الأمس في الفترة التي سبقت ذهاب كريم بن محمد إلى المعتقل والمقهى في الفترة التي رجع إليها بعد قُرابة العام "دخل الرّجلان" مقهى الصداقة "الكائن في زاوية شارعين(...)كان المقهى عامرا لكنّه هادئ، الشيء الذي لاحظه كريم هو أن الناس لم يعودوا يرفعون أصواتهم مثل سابق عهدهم، أضحوا يتهامسون، وهم يلتفتون حولهم بحذر شديد كأنّهم يتحدّثون في مسائل محظورة (...) في السابق كان الناس يجهرون بمواقفهم أمام الملأ يرفعون بها أصواتهم في تحدّ ظاهر، هم قرويون ومتعوّدون على الصّراحة والحديث بصوت مرتفع."[3]

تغير أحوال الشعب في هذه القرية المليئة بالتفاؤل والحيوية سابقا بسبب الأوضاع المزرية التي وضعها أصحاب التمرد المسلح من يزيد لحرش وجماعاته، فاختزلوا عنصر الأمن والسكينة منها بعدما كانت هذه المقهى مكانًا للتعبير عن الأفكار بكل حرية أصبحت اليوم موقع يسوده هاجس الخوف والارتياب والحذر المفرط الذي لا يفارق أحدا من أفرادها "أما اليوم يظهر أن الخوف استبد بقلوبهم، فأصبحوا حذرين بشكل

1. الرواية. ص.12.11.
2. الرواية. ص167.
3. الرواية. ص50.

ملفت للنظر لا ينطق أحدهم حتى يتأكد من خلو المكان المحيط به(...) يتهامسون مادّين رؤوسهم(...) وعيونهم مثل الكشافات الضوئية المتحركة التي تلاحق الظلام لتسحقه."[1]

نلاحظ في طريقة سرد الروائي للأحداث وانتقاله من مكان إلى آخر أنه يجسد بطريقة غير مباشرة السطو الإرهابي على مشارب القرية كلها دون استثناء سواء بذكر اغتيالاتهم وإغاراتهم على هذه الأماكن أو بالاكتفاء بذكر رَدة الفعل السلبية نحو هؤلاء الجماعات المسلحة، كما يُعرب عن مختلف الأزمات الاجتماعية والمشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الفرد الجزائري في ظل التغييرات السياسية والأمنية الحاصلة في ظل العشرية السوداء.

ج. السجن:

يصف لنا الراوي هذا المكان على لسان الشخصية المحورية "كريم بن محمد" إذ ترك المجال لمجريات المعتقل لتُعَرِّفَ عنهُ ولتفصح عن الوقائع التي تدور فيه" لكن حماس كريم فتر بنسبة كبيرة أثناء إقامته في المعتقل، حيث شاهد عن قرب السلوكات اليومية للأمراء الجدد، الذين أظهروا جهلهم المطبق بالمسائل الفقيهة وعوضوه بالغطرسة والتسلط على جنودهم."[2]

كما قام بسرد أحداث أخرى مختلفة عن سابقتها عن هذا الفضاء المكاني، وبصورة مغايرة تماما تفرد بأحداث جِدُّ مأساوية عن شخصية "فريد زيتوني" الذي سُجن من أجل مظاهرات كان فردا فيها، وقد تمت ممارسة أشد وأقسى أنواع التعذيب فيه من قبل رجال الدرك "أنزَلوني عبر سلالم مظلمة ثم أدخَلوني قبوًا باردًا ورطبا ورموني بقوة على البلاط الإسمنتي الخشن مثلما تُرمى شكارة بطاطا، وهناك مارسوا على جسمي وروحي تعذيبا وحشيا."[3]

هذه المواقف وأخرى مارستها الدولة على أفراد شعبها دون أن يرف لها جفن ودون الإحساس بهم مما جعل الموقف يتأزم أكثر ويسير نحو الأسوأ، باعتقادٍ منها أن هذا تهذيب فقط وليتعلم الجميع منه، مما جعل حجم الضغينة تتراكم في قلوبهم فتخدم بذلك جهة جماعات التمرد المسلح آليا.

لم يُذكر السجن في متن الرواية بتسمية واحدة فقط، بل تعدد ذِكرُه بعدة أسماء مختلفة تعبر في كل مرة عن مجريات وأحداث مختلفة عن الأخرى، فنجده كما ذكرنا سابقا بتسمية "المعتقل" الذي كان المحكوم فيه "كريم بن محمد" كما نجده مُعَرَّفٌ تحت لفظ "الاحتجاز"، والرهينة في هذه المرة كان "عبد القادر" صاحب

1. الرواية. ص50
2. الرواية. ص18.
3. الرواية. ص244.

الفرغون الذي استولى عليه الإرهاب لينجزوا أعمالهم الهجومية والإجرامية على قرية وادي الرمان فكان الاحتجاز من قبل الدرك كعقاب له على سكوته وكتمه لهذه الحادثة يقول والد عبد القادر:

-" يا سي رابح قل لي من فضلك: كيف أصل إلى ابني؟ أين اخذوه؟

-أجهل مكان حجزه قالوا بأنهم جاءوا من البليدة هذا كل ما أعرفه (...)

ـ يا سي رابح ... كان بين أيديكم، أنتم مسؤولون عن حجزه"[1]

لم يُعَدِّد الراوي التسميات لهذا المصطلح اعتباطا، بل كان يشير إلى دلالات خفية أراد أن يبرز بها في كل تسمية حجم المأساة التي مرت بها كل شخصية، كما أراد أن يكشف عن حقيقة الحالة التي يعيشها الشعب في تلك الفترة من الزمن مُؤكدًا ومُبينا بذلك غطرسة الدولة وأساليبها التي لم تقم إلا بتنمية جانب الحقد والكره ناحيتها، وكان بإمكانها تفادي هذا الأمر بالحوار وحسن التسيير.

ثالثا: المرجعية الدينية في رواية "الورم"

1. . أشكال توظيف الرواية للنص الديني:

لدى النص الديني عدة أوجه يتأتى عليها في الرواية وبعدة توظيفات متنوعة ومختلفة، حيث أن لجوء الروائي لاستدعاء الموروث الديني يهدف لإعادة هيكلة الواقع المعاش " لأن أي تفاعل مع التراث لا يمكن أن يكون منتجا إلا إذا كان تفاعلاً إيجابيا مع واقعه أي الواقع الذاتي الذي لا يزال يتفاعل مع التراث باعتباره امتدادا ثقافيا وروحيا، ومع الواقع العام أي العصر الذي تنتج فيه متفاعلات نصية جديدة ومستمرة."[2]

نجد أشكال تجلي النص الديني في رواية "الورم" كالآتي:

التناص: (intertextualité)

حينما نأتي للإحاطة بمفهوم هذا المصطلح النقدي الحداثي الوافد إلينا من الغرب يجب ألا يغيب عن أذهاننا مسألة إزالة السلطة للمؤلف وإلغاء إدعائيته لملكية النص (هنا نقصد أن الكاتب يجب أن يشير إلى التناص لتفادي ما يسمى بالسرقات)

1. الرواية. ص228.

2. سعيد يقطين الرواية والتراث السردي من اجل وعي جديد بالتراث، رؤية للنشر والتوزيع. ط1. القاهرة. 2006. ص 230.

احتضنت المدرسة الشكلانية الروسية هذا المصطلح واعتبرته ظاهرة تعبيرية فاهتمت بها، لكن دون إرداف أي اسم لهذه الظاهرة إذ يقول شِكْلُوفسكي " العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى، بالاستناد إلى الترابطات التي تقيمها بينها، وليس النص المعارض وحده الذي يبدع في توازٍ وتقابل مع نموذج معين بل إن كل عمل فني يبدع على هذا النحو" [1]

فعندما يتم المزج بين هذه النصوص يتم تشكل نص جديد إبداعي متداخل ومتكامل لأداء فرض فكري أو فني أو جمالي للنص.

وما يهمنا هنا هو التناص الديني لأنه يعد شكلاً من أشكال تبني الرواية للخطاب الديني حيث يحمل تعريفه نفس ما سبق من تعريف التناص ولكن المتغير هو أن النص المنقول يكون من " نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي للرواية." [2]

وعلى سبيل الإثراء، فالتناص الديني يعطي تغيرات جديدة بواسطة الاستشهاد أو التلميح بإعطاء القارئ السلطة لتعدد القراءات وكذا يزرع بعمق تلك الفكرة في ذهنه لأن المتأثر بالدين سوف يتأثر بمقتبساته وأفكاره لا محال مما يسهل للكاتب إيصال فكر المتلقي إلى جوهر فكرته، كما أن التناص الديني يعطي نوعا من المصداقية التامة خاصة في حالة التضمين للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة لأنها في الأساس المرجعية أو المصدر المعصوم.

نجد في الرواية التناص الديني بشكل واسع واستخدامه من قبل الروائي كان مقصودا بغرض تأكيد الصورة وتعزيز المعنى، فالتناص مع أسلوب ولغة النص الديني هو إكساب للنص مزيداً من الثراء الدلالي المقتبس منه، يقول على لسان شخصيات الجماعات الإرهابية: "إن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها."[3] ويقول في مقطع آخر: "لا تدخلوا بيوت الناس قبل استئذان أهلها."[4] فشخصية الإرهابي في الرواية دوما ما تُضْمنُ إلى نصها آيات قرآنية، أو توظف الآيات في سياقها الخطابي الذي تكرره في كل فرصة سانحة، فيستفيد

1. تزفيتان تدوروف. الشعرية تر شكري المبخون ورجاء بن سلامة . دار توبقال . الدار البيضاء . المغرب . ط2 . 1990 . ص 41.
2. أحمد الزغبي . التناصف . نظريا وتطبيقيا. مرجع سابق. ص 37.
3. الرواية. ص32.
4. الرواية. ص19.

بذلك من أنه يمنح لغته أبعادا دلالية عميقة، وأنه يجذب الفرد إلى موقفه بالاستعانة بالنص التراثي الديني، وكأنه توجه دعائي لتأصيل كلامه وتثبيته بالحجة والبراهين، ومنحه قداسة مكتسبة من قداسة النص الديني.

أما من السنة فنجد على لسان الشخصية "يزيد لحرش" قوله: "أمسك الرأس جيدا كي أتقن الذبح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ذبحتم فأتقنوا الذبح."[1] تعدد التناص من القرآن يقوي دعم كلام الجماعات الإرهابية أكثر لأن هذه النصوص لا تحمل الخطأ وبالرغم من أن توظيف التناص الديني في الرواية صحيح سواء بالاستشهادات الدينية المستعملة أو بالذكر المتكرر لها إلاَّ أن الخلل يَكمُن في ذلك الفهم الناتج عنها، والحديث النبوي السابق ذكره يعد أبرز مثال على ذلك، فالرسول صلى الله عليه وسلّم لم يكن قصده فيه ذبح الناس أو الأشخاص بل قصده كان حول الأضاحي والأنعام والحيوانات التي يَحِلُّ أكلها، وقصد إتقان الذبح غرضه ألَّا تتعذب الأضحية أو الحيوان المذبوح، ولكن استعمال الخطاب الديني في غير موضعه المقصود يُعَدُّ تدنيسًا لهُ ممّا يُحدث إخلالاً فيه وفي مفهومه العام، فحينما تجهل الجماعات المسلحة أي تبرير تقدمه لأعمالها الشنيعة تقوم باستعمال تناصٍّ من الدين فتستعمله بحسب اللغة التي أتى بها وليس بحسب المفهوم أو تأخذ من النص ما يلزمها وتُضْمِرُ عن بقيَّتِهِ التي تليه لإبراز معناه.

2.أشكال توظيف الخطاب الديني:

تعدد توظيف الخطاب الديني في رواية "الورم" إلى أكثر من شكل، حيث اعتمد الكاتب إظهاره في عدة صور كي يعرِّف كل واحد منهما الآخر بصورة آلية، وعن طريق الشخصيات المتناوبة على الإفصاح به إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، حيث كان الخطاب الديني في مستهل الرواية حاضرا على لسان يزيد لحرش مخاطبا به كريم بن محمد وبقية الجماعة المسلحة حيث رصد الكاتب وقائع الاستبداد بشخصياته والتشكيك بمبادئ الإسلام مدينا التطرف والعنف.

" لم يكن كريم مقتنعا بهذه الأفكار التي وجدها متطرفة وتخالف المذاهب الفقيهة التقليدية التي تراعي الطبيعة الإنسانية التي ليست ملاكًا وليست شيطانا بل هي النفس الأمارة دائما بالسوء." [2]

إستعمل الكاتب هنا شرحًا للخطاب الديني دون ذكره ووجهة نظرٍ بارزة كي تُعَرِّفَ ما سبقها، فقام بالإفصاح عن هذا الأخير بطريقة مغايرة في هذا الموقف.

1. الرواية. ص181.
2. الرواية. ص 32.

أتى الكاتب أيضا على هذا النوع من الخطابات بصورة مباشرة عن طريق خطبة من الجماعة المسلحة التي تميز فيها عن هوية المسلمين والكافرين في نظرهم، " إن الجماعة المسلمة ترى أن كل المجتمعات القائمة مجتمعات جاهلية وكافرة قطعا، وترفض كل أقوال الأئمة والإجماع وسائر ما تسميه الأصنام الأخرى كالقياس، إن الإلتزام بجماعة المسلمين ركن أساسي كي يكون المسلم مسلما(...) إن الإسلام ليس بالتلفظ بالشهادتين بل هو إقرار وعمل، ومن هنا من يفارق الجماعة كافر، إن الإسلام الحق هو الذي تتبناه الجماعة الإسلامية وهو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم (...) وبعده لم يكن ثمة إسلام صحيح على وجه الأرض حتى الآن."[1]

يوحي هذا الخطاب بأنه خطاب وعظ وإرشاد ألفته الجماعة الإسلامية لغرض التمييز والتحذير عما هو واقع في العالم أجمعْ، كما أنه تمهيد شرَّعُوا به لأنفسهم الكثير من الأعمال الوحشية التي صنفوها كتمهيد وتأسيس لدولتهم المنشودة، وهنا استعمل هؤلاء الدعاة الاستدلال بالمرجعية الدينية على غير سياقها الشامل، يأخذون بالكلمة ما يخدم حديثهم وخطابهم وأعمالهم فقط، يقول يزيد لحرش وهو يهم بذبح الصحفي محمد يوسفي:" أمسك الرأس جيدا كي أتمكن من إتقان الذبح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح."[2]

لم يتوقف هؤلاء المتمردين في هذا الحد بل تجاوزهم واصلٌ أنامله إلى الحكم على العباد ومحاكمتهم كأنهم هم الخالقون،" نحن جماعة المسلمين وعملا بالشريعة الإسلامية اتخذنا قرار إعدامك لأنك خادم الطغاة أعداء الله والإسلام، صاح محمد يوسفي بكل ما تبقى منه من جهد: لست عدو الله والإسلام. أنا مسلم مثلكم أصلي أصوم أنطق يوميا بالشهادتين (...) صلاتك صلاة المنافقين وهي باطلة لا يقبلها الله."[3]

حاول الكاتب جاهدا الإحاطة بشتى طرق استعمال الدين والشريعة في إنشاء الخطب، محاولا إبراز الوجه الآخر لهذا الخطاب وذلك بطريقة سرده للأحداث اعتمادا على ما يسمى بالرؤية من الخلف يمكن للقارئ معرفة جميع تفاصيل ومجريات الرواية ليتمكن بدوره من تثبيت موقفه إزاء هذه الحقبة الزمنية التي مرت بها الجزائر بعنوان العشرية السوداء/ الحمراء، وهو نفسه ما تمر به الآن العديد من الدول العربية الأخرى تحت اسم الربيع العربي.

1. الرواية. ص 31.
2. الرواية. ص 181.
3. الرواية. ص 180.

2. تبعات التطرف وتدنيس الخطاب الديني

يعتبر الإسلام المرجعية التي لا تتزعزع في المجتمع الجزائري، وذلك لما له من تأثيرات على تصرفات الأشخاص ومواقفهم، لكون الراوي والكاتب الجزائري فردًا من هذا الوطن كانت له تلك الاحقية كي يشارك برأيه حول ما حدث في تلك السنوات الدامية التي شهد فيها تطرفًا دينيا نشرته جهات خفية من السلطة، استغلت الفقر والحاجة والجهل بالدين لتظفر بالجماعات من الشباب والكهول وحتى الشيوخ والصغار لأسباب منعدمة متخفية وراء ستار الدين والجهاد في سبيل الله.

رواية "الورم" قامت بتعرية واقع مرير من تاريخ الجزائر كشفت فيه عن حقائق كثيرة يستطيع منها الفرد أن يجد الكثير من التساؤلات التي كانت غامضة. اهتم الكاتب بجانب الخطاب الديني وركز على إبرازه ومدى تأثيره على المجتمع حيث أورده بصورة متطرفة وأظهر من خلال شخصيات الرواية ذلك التأثير الجسيم الذي ألحقه بهم وبالوطن وشعبه كافة مستغلا بذلك الأوضاع السياسية للبلاد وحاكمها " الذين أظهروا جهلهم المطبق بالمسائل الفقهية وعوَّضوه بالغطرسة والتسلط على جنودهم." [1] ما أدى إلى أحداث مأساوية جدا جُسِّدَتْ غاية التجسيد في هذه الرواية التي بين أيدينا، حيث كانت البداية بالشاب كريم بن محمد الذي تحول من معلم تقي وطيب إلى مجرم سفاح من الدرجة الأولى.

كريم بن محمد " ذلك المعلم المبجل الذي يلجأ إليه أولياء التلاميذ للمشورة أو المساعدة، أضحى ينتمي لصنف من الرجال اقترف بعضهم جرائم بشعة."[2]

ليس كريم وحده من انزاح خلف هؤلاء المتمردين بل أخوه علي أيضا " الذي لا يصغره إلا بسنة واحدة (...) مجند في الجيش منذ سنوات وهو اليوم برتبة ملازم." [3] طُرِدَ من عمله ظلما بسبب كان يجهله في البداية ثم تمكن من معرفته وهو أن أبوه كان (حركي) من خادمي فرنسا، تشدد واضح من قبل السياسيين وحاكمي البلاد، يقول علي:" طُردت من الجيش. الآن أنا بطال بأتم معنى الكلمة وبدون دينار في الجيب."[4]

1. الرواية. ص 18.
2. الرواية. ص 35.
3. الرواية. ص 29.
4. الرواية. ص 149.

الشيء الذي أنمى الحقدة اتجاه السلطة الحاكمة في الوطن وجعل الجماعات المسلحة تستغل الوضع لصالحها لتجند شبابها وتفتي لهم بفتاوى باطلة تنمي ذلك الحقد في نفوسهم وتحولهم إلى مجرمين محترفين يمشون تحت شعار الجهاد في سبيل الله.

تقول أم أحد الدركين :"علي هو أيضا عسكري فلماذا ابني بالذات... أنتم أيضا تعاملون الناس بالوجوه؟ قال بوشاقور: علي أشجع من ابنك غادر صف الطاغوت والتحق بصفنا." [1]

تأثير الجماعات المسلحة بخطاباتهم الدائمة له أثر بالغ في نفوس هؤلاء الشباب حيث يبعث الطمأنينة في نفوسهم من جانب تلك الجرائم الشنعاء، والمفتي الأكبر في الجماعة المسلحة هو "أحمد دريج" المدعو "الأفغاني"،" إمام الجماعة ومفتيها في كل صغيرة وكبيرة يسترسل في خُطَبٍ منسابة لا نهاية لها (...) يقول أن الإنسان سيسعد سعادة كبرى إن هو أخضع حياته كلها لأحكام القرآن لأن فيه حلولا لكل مشاكله."[2]

كلام يريح قلب كل مستمع له ضنًا أنه مادام القرآن متدخل في الموضوع سوف لن يكون هناك خطا في هذه الأحكام المدنسة التي جرتهم على الهاوية.

ترفض الجماعات الإرهابية التصديق بأي فتاوى غير التي تصدرها، مما يجعل تدنيس الخطاب الديني السوي ظاهر بتفاصيله في حديثهم " الإنسان ليس بحاجة إلى التشريع بل مَهمته الأساسية تتمثل في تطبيق الأحكام القرآنية، ولكن الشيطان أعمى بصره وبصيرته فابتعد عن هذه التعاليم الربانية الخالدة وركض نحو الأحكام الجاهلية الزائلة التي يشرعها الغرب الملحد، الحقيقة والخلاص موجودان في القرآن من العبث البحث عنهما خارج النص القرآني." [3]

في مقابل هذا الحديث نجد مجموعة الشباب الجزائري الذين يعيشون التهميش القاتل بسبب انسداد آفاق المستقبل أمثال عبد النور تلميذٌ لكريم بن محمد، الفتى الذي لا يتجاوز الخامسة عشر من عمره لجأ للعمل كنادل قابلٍ لكل الإحتقارات وأنواع السلطة التي تمارسُ عليه بِفَمٍ صامت بعدما طردوه من الدراسة.

"تعرف كريم على أحد تلامذته، مسكه بلطف من ذراعه وقال:

1. الرواية. ص 290.
2. الرواية. ص 89 . 90.
3. الرواية. ص 90.

-تخدم هنا ... وكيف حال الدراسة في المتوسطة؟

-طردوني. أجاب الطفل باقتضاب."[1]

لم يكن هناك خيار لهذا الفتى سوى التفكير بصمت للانضمام إلى الجماعات المسلحة كي يشفي غليله في هذه السلطات كما ينبغي دون حساب أو عقاب بل علاوة على ذلك يوهمون أنفسهم ومن معهم بأن الجنة من نصيبهم وهم الأحق بها.

تم تجنيد الفتى عبد النور بعد إلحاحه على معلمه كريم بن محمد وبعد قيامه بشرط أمير التمرد يزيد لحرش "يقول كريم وأنا أنقل بصري من الوجه الأمرد لهذا القهوجي الذي أصر على الالتحاق بنا فاشترط عليه يزيد أن يقتل شرطي أو دركي كي يقبل في صفوفنا."[2]

شروط تعجيزية ينجم عنها خلفيات مأساوية متكررة تجعل أبناء الوطن الواحد في حرب بينهم يغتاب كل واحد منهم الآخر في أول فرصة له، وشرخ عميق خُلق بين أمة واحدة "في ذلك اليوم كانت مدينة زرالدة تشتعل نارا ودخانا، يصل إليها الشباب من كل الاتجاهات مهددين رافعين أصواتهم ومناخرهم إلى السماء، يريدون تدمير العالم (...) عازمون على حرق المدينة، وتحدي الشرطة والدرك وكل من له سلطة في هذا البلد." [3]

ما يلفت الانتباه في هذا السرد هو إسقاط الواقع بحذافيره، صحيح بشخصيات وأماكن مختلفة لكن بنفس الحدة ونفس النتائج، فكل نظام من الأفكار لابد أن يعكس أحكاما خاصة تعكس موقف صاحبها وبالرغم من موقف الكاتب الحيادي، والاكتفاء بسرد الوقائع من خلال لغة جمالية متعالية إلا أن الرسالة أوصلت صداها إلى بُعْدٍ كبير، "ولا ينتبه القارئ على مشروع الكاتب الإيديولوجي إلا بعد أن يكون قد انتهى من قراءة العمل."[4] ويتطلب ذلك قوة ملاحظة جد عالية وبصيرة نقدية قادرة على تجنب الإسقاطات العشوائية والتأويلات المضللة.

1. الرواية. ص 57.
2. الرواية. ص 238 . 239.
3. الرواية. ص 240.
4. حميد لحميداني. النقد الروائي والإيديولوجيا. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 1990. ص 36

إن نشوء الحركات المتطرفة المتذرعة بحكم الشريعة يعود في نظر البعض إلى غياب الديموقراطية وكبت الحريات الفردية، وغياب العدالة الاجتماعية أيضا، حيث وجد الشباب ضالتهم تحت الحزب الذي يتيح لهم التفنن في الانتقام وبرخصة شرعية بحته "قال الأفغاني(...) إن العلماء المسلمين في المشرق قد أصدروا فتاوى تُبيح هذه الاغتيالات والتي تندرج ضمن الأفعال البطولية التي تمهد لقيام الدولة الإسلامية."[1]

خطابات دينية بالاسم فقط خلفت آثار جسيمة على الفرد ووطنه ورواية "الورم" كانت أحسن مصور لهذه الآثار الناجمة عنها والتي بدأنا بسردها من أول فصل فيها إلى آخر فصل، فنجسدها فيما يلي:

- انقسام الشعب إلى طوائف تحارب كل واحدة الأخرى بشتى الوسائط الممكنة.
- حرب بين أفراد الوطن الواحد مع انعدام الأمن والأمان فيه.
- هروب الكثير من أفراد المجتمع وانخراطهم في الجماعات الإرهابية لأنه ليس لهم سلطة فوقهم وليس هناك من يحكمهم بل وحدهم الآمرون والناهون، كما أن قانونهم مُنْتَجٌ من قِبَلِهم وهم يعملون به بكل اعتزاز وهو الشيء الذي لا يمكن النفور منه.

1. الرواية. ص 30.

الخاتمـــــــــة

في نهاية هذا البحث ندرج أهم النتائج المتوصَّل إليها وهي كالآتي:

- ❖ تناولت الرواية قضية اجتماعية سياسية، تروي قصة شباب متمردين على مجتمعهم، كما أبرزت جوانب مختلفة من حياة الفرد الجزائري في فترة العشرية السوداء مُجسِّدَة ذلك في أحداثها داخل المتن الروائي وكذا بالكنية التي عُنْوِنَت بها.
- ❖ للرواية خلفية إيديولوجية عكست فترة الأزمة الجزائرية حيث سلطت الضوء على العديد من القضايا التي عاشها المجتمع في فترة التسعينيات.
- ❖ نستخلص أن الأزمة السياسية التي وصلت إليها الجزائر في فترة التسعينيات كان تراكما لعدة أسباب نذكر منها :أن الجزائر حديثة العهد بالاستقلال ما جعل نظامها هشّا فهو ليس قويا كفاية ليتصدى للأزمات التي مرت بها، كما أنّ الانفتاح المفاجئ على التعددية الحزبية بعد أن كانت تحت نظام حكم الحزب الواحد لفترة عقدين من الزمن جعلها تتخبط دوامة من أعمال العنف السياسي والدموي.
- ❖ كانت الشخصية الإرهابية في الرواية تلك الشخصية الدينية التي تحثُّ باستمرار على التوعية الفكرية لأُصول الدين فهم بتكرارهم للمفردات مثل"القتال، الجهاد، النصر، النار، الأمة الإسلامية وغيرها " يهدفون إلى ترسيخ أفكار الجهاد وتبني الفكر المتطرف دون أي معارضة، وكتنويم مغناطيسي يؤثر على عقل المتلقين.
- ❖ أبرز الراوي شخصياته الرئيسية أكثر من غيرها من الشخصيات الأخرى، فأعطى لها حرية تسيير الأحداث المهمة ولكنه أورد باقي الشخصيات المرجعية الاجتماعية بمستويات مختلفة لكون السارد نحت الرواية من الواقع المعيش.
- ❖ أغلبية أسماء الشخصيات في الرواية لم تتوافق دلالاتها مع شخصياتها وهذا ما يدل على أن الكاتب قَصَدَ ذلك بهدف تجسيد الواقع وإعطاء الرواية طابع الواقعية الاجتماعية.
- ❖ لغة العنف كانت اللغة الطاغية على لسان الشخصيات كونها جزءًا من لغة السلطة الطاغية سواء أكانت مستخدمة من قبل الإرهاب أو الدولة وكان ذلك بحسب الموقف المراد إبرازه، فقد كانت تتميز بطابع تخويفي يفي بالغرض في جميع المواقف، هذه اللغة كان لها النصيب الأوفر في الخطابات الدينية المتطرفة والتي تم توظيفها من خلال الاستعانة بالجمل الأمرية أو من خلال الآيات التي تدعو للقتال

بهدف إثارة الخوف والتوتر اللذان جاءا على سبيل الترهيب وكذا من خلال الصور التي اعتمدت عليها الجماعة الإسلامية المليئة بمشاهد العنف الرمزي والحرب والقتال.

- ❖ كان في دلالات توظيف الفضاءات المكانية في الرواية بُعدًا واقعيا أبرزه الكاتب حسب أهمية كل واحد منهم بالوظيفة التي يؤديها مثل جعله لملاجئ الإرهاب خاصية الظلمة والبعد والأماكن المهجورة.
- ❖ يعتبر المسجد من أهم الأمكنة التي وظفها الكاتب في الرواية وهذا ولدوره المنفرد والكبير في عملية التواصل بين الإرهاب وأفراد المجتمع، كما بين من خلال الرواية أن هذا الأخير تدخلت فيه القضايا الحزبية والطائفية والمذهبية، وغابت عنه أهمية التركيز على القضايا الدينية والوطنية الجامعة، لأنه أصبح استخدام المساجد كمنابر للحركات السياسية والانطلاق منها.
- ❖ تبين أن الجماعات الإسلامية وظفت الجانب الديني توظيفا سيئا من خلال تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على حسب أيديولوجياتها المتطرفة بالاستعانة باقتصاص النصوص الدينية وأخذ ما يخدمهم فقط، واقتباس الأفكار والعبارات من القرآن الكريم والسلف الصالح وذلك من أجل إعطاء الشرعية الدينية لأفكارهم، وتوجيه رسالة لجمهورها المستهدف بأن مشاريعها نابعة من الشريعة الإسلامية، وأن هذه الجماعات الإسلامية المتطرفة تقتدي بالسلف الصالح وأنها تسعى لبناء دولة إسلامية عادلة.
- ❖ حاولت الرواية الكشف عن النصوص الدينية وتبيان الفوارق بينها وبين الخطاب الديني بوصفها نصوصا مقدسة وكاملة لا يعتريها الشك والنقص وصالحة في كل زمان ومكان، أما الخطاب الديني فهو نتاج الفكر الإنساني يتغير بتغير الزمان والمكان ويختلف باختلاف الموروث والمعتقدات والدرجات العلمية للمنتج له.
- ❖ جاءت " رواية الورم" كجانب توعوي للقضاء على الاستبداد السياسي المتسلط الذي قَمَعَ فئات كثيرة من المجتمع مما حولها آليا إلى التفكير في الخلاص بأي طريقة كانت، وكان الأسهل عندهم هو إتباع طريق التمرد والعصيان التام للدولة للبحث عن حقوقهم الخاصة بالسلاح مما خلق شعبا متفرقا تسوده الفرقة وينقصه الأمن والأمان.
- ❖ أظهر الكاتب من خلال الرواية أهم تبعات الخطاب الديني المتطرف والمتمثلة في تأزم المجتمع الجزائري وانقسامه إلى طوائف متخاصمة فكَّكَت تآزُره الذي كان سببا في استقلال دولتهم.

الملاحـــــق

الملحق الأول

صورة للغلاف الخارجي لرواية "**الورم**"، اللوحة للفنان "**تماري فلاديمير**".

الملحـــــق الثاني:

ملخص الرواية

رواية "الورم" رواية جزائرية كتبها الروائي والأستاذ "محمد ساري" عام 1995م، لكنها لم تُصدر حتى عام 2002م عن منشورات الاختلاف، تضم هذه الرواية 294 صفحة، ويبدأ المتن الحكائي فيها من الصفحة السابعة؛ وهي مقسمة إلى ثمانية عشر فصلا ينفرد كل واحد فيها بأحداثه الخاصة.

بدأ الكاتب أحداث الرواية بتسلسل محكم عن سرد الوقائع حول "كريم بن محمد" الشخصية البطلة أو الشخصية الرئيسية فيها، حيث أُفرِج عنه من معتقله الذي أمضى فيه قرابة العام في أقصى الصحاري الجزائرية، بعدما تم اعتقاله غصبًا في مظاهرات أكتوبر 1988م مع جماعات أخرى مثله؛ "كريم" رجل مثقف ومتعلم له شأن عظيم بين أفراد وادي الرمان، يحترمه الصغير ويبجله الكبير، لكن تجربة الاعتقال التي مرّ بها بَنَتْ حاجزًا كبيرا بينه وبين ماضيه الذي يُعَدُّ كله فخرٌ واعتزاز، بداية من تلك الطفولة البريئة التي يتذكرها دائما بشوق وحنين؛ أعوام مثمرة وخيرات كثيرة، كانوا جماعات أطفال الحي الغربي لوادي الرمـان (كريم بن محمد، أخوه علي، يزيد لحرش، عبد القادر، إبراهيم وفريد زيتوني المدعو فريد تكساس)، هؤلاء وآخرون يمثلون الطفولة بكل ما للكلمة من معنى سواء بأفعالهم الصبيانية حينما يسرقون أنواع الفواكه الموسمية من البساتين التي يحرسها "سي العربي" أو عندما يلعبون كرة القدم بما فيها من تسلية ومشاجرات؛ إلى تلك الفترة التي كان يمتهن فيها التعليم، تغير كل شيء، الآن يعتبر بطَّالًا عن العمل بعدما فُصِل تلقائيا أثناء المعتقل؛ ليس هذا ما يُقلق "كريم بن محمد" ولا تحول وادي الرمان وأراضيها وسكانها ، بل ما يقلقه استدعاء "يزيد لحرش" له، صحيح أنه الوحيد الذي تذكره بعد عودته من المعتقل ولكن كونه أميرًا للجماعات الإرهابية أرَّقَ كريم وبعث في نفسه الهلع والخوف.

تمت تلبية دعوة يزيد، وما إن اقترب كريم من مكان الالتقاء إلاّ وتسارعت دقات قلبه مُتسائلا عن سبب الدعوة؟ حوش غريس هو المكان الذي سوف تتم فيه هذه المقابلة بحسب "بوشاقور" الذي أوصل الدعوة لكريم بعدما التقى به في مسجد القرية، كانت محادثات كريم ويزيد وبقية الجماعة المسلحة حافلة بخطابات

دينية مسترسلة لم يسمع منها كريم سوى بعض الكلمات وذلك من خوفه وتساؤلاته المتكررة حول سبب الدعوة والتي لم يمتلك الشجاعة الكافية للإفصاح عنها.

عاد كريم إلى البيت بوعي غائب تقريبا وذلك بسبب طلب الجماعة المسلحة والذي كان اغتيال صديق طفولته "محمد يوسفي"، بعدما أعطوا له مسدسا لإكمال المهمة، مُشَرِّعين أفعالهم بتعاليم دينية لا أساس لها من الصحة؛ ليلة طويلة مليئة بالأرق المتشعب والمختلط بين القلق والتخمينات الملتوية حول مصيره إن قبل بالانخراط في هذه الجماعات المسلحة ومصيره إن رفض طلبهم، كل هذه الأفكار شوشت ذهن كريم مما جعله يغوص في عمق مخيلته حتى أوصله الحنين إلى الأيام التي كانت تجمعه بحبيبته "جميلة" التي كانت تُدَرِّسُ معه في نفس المدرسة، حيث أن الإشكال يتمحور في إمكانية تفكرها لهذا المعلم البسيط أم أنها نسَته بعدما غادر مُعْتَقَلاً من قبل الدولة؛ أتمَّ كريم ليلته بين التقلب يمينا ويسارا دون التصاق جفنيه ولو للحظة واحدة؛ معتقدا أنه سوف يتوصل لحل بحلول النهار ولكن الأمور تشابكت عليه حينما التقى بصديقه الصحفي "محمد يوسفي" في الشارع بصباح اليوم الجديد، هذا الفتى الذي وفقه الله وأكمل دراسته وأصبح صحفيا ينقل الأخبار يوميا في التلفزة، بدى مسروراً جدا برؤية كريم من جديد لكن كريم لا يبادله نفس الشعور، فبعد طلب "يزيد لحرش" الذي تمرد على السلطة الاشتراكية هروبا من سوء المعاملة والتدهور المعيشي المفروض عليه من قبلهم لم يعد يقدر على رفع رأسه أمامه.

يمر الكاتب بسلاسة ملحوظة بين كلام يخبر به وبين حوارات أسقطها على شخصياته الروائية، يسرد لعنةً تطارد جميع سكان واد الرمان، وها هو "عبد القادر" صاحب "الفورغون" ضمن لائحة المستهدفين هذه المرة، لكن الحظ ساعفه بعدما استدرجه "بوشاقور" بالتهديد إلى مكان منعدم الإنارة فترجل منه – الفرغون– واسْتُبْعِدَ ليعود إلى بيته راجلا، لكن قبل التسريح له بالمغادرة اشترط عليه يزيد لحرش ألَّا يخبر الدرك إلا بعد صباح اليوم الموالي، وبالفعل لم يقم عبد القادر بأي حركة مخالفة لما طلبته الجماعة المسلحة منه، وفي ذلك الوقت استغَلَّ أصحاب الموقف المتمرد الفرصة بالإغارة على دار البلدية فأحرقوها بما فيها من عتاد ووثائق أحداث هذه الواقعة أخبرها حارس البلدية "مروش بشير" للدرك بالتفصيل بعدما غادر الإرهاب مكان الإغارة متجهين في الأول إلى حوش غريس مقرهم الخفي، لكن يزيد أمير الجماعة لم يشفِ

غليله بعد فقرر الهجوم على مقر الدرك الوطني بنفس "فورغون" عبد القادر حيث انطلق وابل الرصاص في البداية من طرف الجماعات المسلحة بعد ذلك قابلهم رجال الدركي "رابح بن سالم" رئيس المجموعة؛ بعد الطلقات المتبادلة انسحب يزيد وجماعته تاركين وراءهم صراخ لنساء كانوا يجهلون سببه؛ وبفضل سرد الكاتب المتميز الذي قام باسترسال أحداث هذه الواقعة من جانبين مختلفين (من جانب الجماعات المسلحة، والدرك الوطني)، كان ذلك الصراخ لزوجة "رابح بن سالم" بعدما فقدت أختها التي تلقت رصاصة في الرأس أردتها قتيلةً في الحين.

تتجه الأحداث بعد ليلة اليوم المشؤوم إلى "عبد القادر" بعدما تعرف رجال الدرك على الفرغون خاصته، تمت قيادته مع أبيه إلى مركز الدرك أين تم استجوابه من قبل "موح لكحل" صاحب المهمات الصعبة والمتفنن في تعذيب الأفراد أمثال الإرهابي فريد زيتوني قبل التحاقه بالجماعات حيث مارس عليه أقذر أنواع التعذيب لسبب مشاركته في أعمال شغب، مما جعل حب الانتقام يكبر لديه؛ يدخل "كريم" مقر الدرك الذي هو الآخر أصبح فرضاً عليه أن يزوره كل صباح ليسجل حضوره لقوانين تمنعه من مغادرة واد الرمان، يكمل ما جاء من أجله ويعود إلى بيته بعد لقاء مطول مع صديقه "محمد يوسفي" في مقهى القرية، يجد أخاه "علي" بانتظاره في البيت بعدما وجد ذلك السلاح الذي أعطته له الجماعة المسلحة؛ جرى حوار مطول بينهم وتبادلَا أطراف الحديث فيما يخص هذه القضية وعبر "علي" عن رغبته بالانضمام إلى صفوف الجماعات الإسلامية بسبب السلطة المرتشية التي تحكم البلاد والظلم السائد فيها حيث طُرِدَ من عمله كعسكري برتبة ملازم بُهْتَانًا وظُلما، تردد "كريم" في قراره لكن حينما يرى ذلك الواقع المرير الذي يعيشه وواقع الجماعات الإسلامية التي تُحيل كل أعمالها إلى ما يسمى بالجهاد في سبيل الله يتردد مرة أخرى، لأن الجنة بانتظارهم سواء حينما يقتلون أفراد الطاغوت أو إذا قُتِلُوا.

تحت ضغط كبير من "بوشاقور" ورفقائِهِ قام كريم باستدراج ذلك الصحفي فَذُبِحَ من قبل "يزيد"، المهمة التي أعطت كريم تذكرة ذهاب بدون رجوع، مما جعله عنصرًا معترفاً به في الجماعة المسلحة، والذي بدوره قَبِلَ ذلك الطفل ذو الخامسة عشر عاما كفرد بينهم، "عبد النور" تلميذ كريم سابقا طلب منه "يزيد" أن يقتل شرطيا أو دركيا كي ينظم إليهم والمشار إليه هو "موح لكحل" الذي يكرهه الجميع لغطرسته وفرض

سلطته عليهم، لكن ذلك التلميذ لم ينتظر الفرصة المناسبة فتسرع وقتل أول دركي ظهر أمامه وهو "بلقاسم عرقاوي" محبوب أصحاب مقر الدرك الذي كان بيومه قد قتل رجلا ظاهريا يبدو في سنه، لم يفكر قبل إطلاق النار عليه بل اكتفى برؤيته يُشهِر سيفا عليهم وينطق "الله أكبر"؛ موت "بلقاسم عرقاوي" أثر كثيرا على زملائه مما جعلهم يَعْزِمُون على الانتقام لموته وموت "سليمة" أخت زوجة "رابح بن سالم"، كان التخطيط متواصل بمساعدة "صالح بن سعيد" أبو "عبد القادر" صاحب الفرغون حيث كان متعاونا معهم لغرض الإفراج عن ابنه الذي يجهل مكانه؛ أتى لهم بخبر متيقن منه عن وكر هؤلاء المتمردين وهو حوش غريس، حيث تمت مداهمته لغرض الإمساك بيزيد وجماعته أحياء، لكن قلة الحيلة لديهم ومكر الآخرين أودى بحياة "رابح بن سالم" على أرضه وجُرح بعض الدركين، أما من جهة الجماعات المسلحة فبالرغم من دهائهم لكن الوقت سار ضدهم في إمكانية الإفلات جميعا فمات "عبد النور" إثر إصابة بليغة كما مات "فريد زيتوني" أيضا الذي قتله "موح لكحل" بنفسه انتقامًا "لرابح بن سالم".

مرت عدة أشهر وتعافى "كريم" من إصابة في فخذه أثناء الاشتباك الأخير بسبب "مصطفى" قريب "يزيد لحرش" الذي عالجه واهتم به، بعدها قرر رجال الجماعات المسلحة الإغارة هذه المرة على بيوت الدركين للإمساك بهم متلبسين في عطلهم الشهرية، تمكنوا من الدركي "عبد الله" وقاموا بنحره ليبقى عبرة للآخرين أما الدركي الآخر فلم يجدوا سوى عائلته، فقاموا بشتى أنواع التهديد عليهم ليخبروا عن مكانه دون جدوى لأن إجابتهم بقيت كما هي (ليس في البيت، إنه في مقر العمل) مما استدعى "كريم" ولأول مرة على إفراغ محشوشته برأس والد الدركي، أول ضحية له، أما "بوشاقور" فتماديه أكبر بكثير فكان السفاح ذو الجرأة القصوى حين ذبح طفلاً ذو عشر سنوات أمام أعين أمه والجميع دون مبالاة وبقلب بارد، كل هذا لأنهم لم يُفْصِحُوا عن مكان ابنهم، اكتملت الجرائم هذه الليلة بمداهمةٍ من عناصر الدرك مما جعلهم ينسحبون متوعدين بالرجوع في أقرب وقت لإكمال بطشهم.

غادر "كريم بن محمد" مع الجماعة وهو في ذُروة فرحِه لمنصبه الجديد الذي عيَّنَهُ إِيَّاه "يزيد لحرش" وهو نائب الأمير بسبب قتله لأول ضحية له مما جعله مجاهدا حقيقيا معترف به في صفوف التمرد المسلح.

الملحق الثالث:

صورة لمحمد ساري مأخوذة من غلاف كتابه "محنة الكتابة" الصادر عن منشورات البرزخ عام 2007.

الملحق الرابع:

1. حياته:

"محمد ساري ، أستاذ السيميولوجيا ونظرية الأدب بجامعة الجزائر 2، روائي، ناقد ومترجم أدبي من مواليد01 فيفري1958 بشرشال، ولاية تيبازة، الجزائر، تنحدر عائلته من قرية صغيرة دمرها الإستعمار عن آخرها لأنها كانت مأوى للمجاهدين، وتمتهجيرهم إلى محتشد يحرسه العسكر الفرنسي يقع في الطرف الشرقي لمدينة شرشال، كانت الطفولة عنده ترتبط بالوجع من خلال الصورة التي رُسمت في ذاكرته عن رحلة التهجير، و بعد الإستقلال استقر بالمدينة في بيت كبير استولى عليه والده بعد عودته منالجبال بعد سنوات شاقة من الكفاح المسلح من أجل تحرير البلد ليعيش بعد ذلك طفولة هادئة سعيدة في ظل الحرية، ويدخل إلى المدرسة التي فتحت له آفاقا واسعة من المعرفة والعلم."[1]

"وقد تحصل على شهادة "الباكالوريا" سنة 1976م، وتخرج من جامعتي "الجزائر2" و"السوربون" في باريس؛ يكتب باللغتين العربية والفرنسية وله مجموعة من الإصدارات في الرواية والنقد والترجمة، حيث ترجم ونشر قرابة عشرين رواية من الفرنسية إلى العربية، وذلك إلى جانب ترجمات أخرى في مجالات النقد والفكر والفن والتاريخ والسياسة."[2]

2 أهم أعماله:

أ:في النقد الأدبي

1- "البحث عن النقد الأدبي الجديد .دار الحداثة. بيروت لبنان1984.

2- محنة الكتابة. دراسات نقدية . دار البرزخ. الجزائر2007.

3- في معرفة النص الروائي(دراسات نقدية بين النظري والتطبيقي) دار أسامة الجزائر. 2009

4- الأدب والمجتمع. دار الأمل. الجزائر .2009.

ب:فيالإبداع الروائي:

1ينظر موقع فيس بوك. الوكالة الجزائرية للإشعاع الثقافي. 22سبتمبر2019م [1]
https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=2580127622030319&id=103732496336523

2ينظر حوار: نوارة لحرش مع محمد ساري. الكاتب يحب الإطراء ويمقت النقد. مجلة الدوحة. نسخة تجريبية.17 مارس 2021م.

1- روايةالسعير. لافوميك. الجزائر1986.

2- رواية على جبال الظهرة. المؤسسة الوطنية للكتاب1988.

و قد نالت هذه الرواية الجائزة الثالثة في المسابقة الأدبية للرواية التي نظمتها وزارة الثقافة بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال سنة1982، و نشرت ضمن نصوص المسابقة في عدد خاص بمجلة أمال سنة 1983.

3- رواية البطاقة السحرية. منشورات إتحاد كتاب العرب. دمشق. سوريا1997.

وقد سبق نشرها على حلقات في جريدة الخبر في صائفة1993. 42 حلقة.

وأعيد نشرها في منشورات الجاحظية. الجزائر أكتوبر2000.

4- رواية الورم . منشورات الاختلاف. الجزائر2002.

5- رواية الغيث. منشورات البرزخ. الجزائر2007.

6-رواية القلاع المتآكلة. منشورات البرزخ. الجزائر2013

7-رواية حكاية أسفار. منشورات أنيب. الجزائر.2016.

8-رواية حرب القبور. دار نشر الفتية الجزائر تقرا. الجزائر.2018.

9- Le labyrinthe (Roman) ed: Marsa. Paris 2000. Edition de poche , Alger, 2002.

10- Le naufrage ed : Alpha Alger 2010 . (Nouvelles"[1]

ج:الكتب المترجمة من الفرنسية إلى العربية:

1ينظر موقع فيس بوك. الوكالة الجزائرية للإشعاع الثقافي. 22سبتمبر2019م

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=2580127622030319&id=103732496336523

واخترت منها ما يلي:

1- "أنور بن مالك : رواية العاشقان المنفصلان. ترجمة محمد ساري . منشورات مرسى الجزائر2002.

Paris .Anouar Benmalek : Les amants désunis. Ed. Calmann-lévy, 1998.

2- مليكة مقدم : رواية الممنوعة. ترجمة محمد ساري . منشورات الاختلاف .الجزائر مارس2003.

الطبعة الثانية: العربية للعلوم، ناشرون .بيروت. لبنان .2007.

Malika Mokaddem : L'interdite. Grasset. 1993. Paris.

3- بوعلام صنصال : رواية قسم البرابرة. ترجمة محمد ساري .نشر مشترك عدن. باريسو الاختلاف. الجزائر والدار العربية للعلوم. ناشرون .لبنان.2006.

.Boualem Sansal : Le serment des barbares. Gallimard. 1999. Paris

وله عدة دراساتن شرها في عدة مجالات منها :

1- أوراق :مجلة ثقافية تصدر بلندن . عدد18 / ديسمبر1984.

(ملحمة التيهِ بين الواحة و الغرباء) دراسة في ''مدن الملح ''ج1 لعبد الرحمن منيف . ص29/27.

2- أفاق : مجلة اتحاد كتاب المغرب عدد 1 / 1990 .ص .114/107.

(في طبيعة الصراع و الرؤية للعالم في أدب مبارك ربيع.)

3- المساءلة :مجلة إتحاد الكتاب الجزائريين . العدد1/ 1991 .ص.154/145.

(السلطة الكليانية و جرائمها :دراسة سوسيونقدية لرواية(عزوز الكبران) لبقطاش مرزاق.)

4- التبيين: مجلة جمعية الجاحظية . عدد2 / 3 1990.

(ظاهرة الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة.)

5- المنتدى: تصدر بالامارات العربية . عدد136 . نوفمبر1994.

(نقد الرواية عند محمد مصايف.)

6- الثقافة: تصدرها وزارة الثقافة الجزائرية . عدد109 .1995.ص .128/97.

(النقد الأدبي عند محمد مصايف.)

7- آمال: تصدرها وزارة الثقافة الجزائرية . عدد64 1996 .ص .44/11اللغة و الأدب :يصدرها معهد اللغة العربية و آدابها بجامعة الجزائر.عدد8 /1996.

(منهج السوسيو-نقدية في دراسة النصوص الأدبية) ص248/241.

9- اللغة و الأدب: يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر . عدد1997/12.

(النص، علم النص :إشكالية التعريف.) ص155/136.

10- المدى: فصلية ثقافية حرة تصدر بدمشق . سوريا . عدد1997/16.

(محنة الكاتب العربي.)ص :38/26.

11- المدى :فصلية ثقافية حرة، تصدر بدمشق سوريا . عدد1998/21.

(رشيد بوجدرة و هاجس الحداثة.) ص :53/48.

12- الخطاب :يصدرها معهد اللغة العربية و آدابها بجامعة تيزي وزو . عدد1 /1996.

(دراسة الأصوات الساردة في رواية الطاهر بن جلون(موحا المعتوه، موحا الحكيم) ص:27/23.

13- روافد: مجلة فصلية ثقافية متنوعة .الجزائر . عدد1 /1998.

(رواية الرومانسية المتشائمة عند أحلام مستغانمي.)

14- الحياة الثقافية: وزارة الثقافة تونس. جانفي1998.

(ملامح الرواية المعاصرة في تونس) ص :64/56.

15- المنتدى: مجلة ثقافية شهرية تصدر بالإمارات العربية . عدد189.أفريل1999م

(التجربة الواقعية في الإبداع القصصي عند الأديب الجزائري أحمد منور.) ص37/34"[1]

1ينظر حوار: جازية سليماني مع الدكتور محمد ساري. الأديب الجزائري محمد ساري: النقد يتوجه بالأساس الى القُرَّاء وليس إلى المبدعين. مدونة الحوار. 16جانفي 2013.

قائمـــــــة
المصـــــادر والمـــــراجع

القرآن الكريم "برواية ورش عن نافع"

❖ **المصادر:**

1–محمد ساري، رواية الورم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002.

❖ **المراجع باللغة العربية:**

1– أحمد الزغبي. التناصف. نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. 2000. ط2.

2– أحمد المتوكل. الخطاب وخصائص اللغة العربية. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة. الجزائر. ط1. 2010.

3– أحمد رضا حوحو. غادة أم القرى. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط2. 1988م.

4– أحمد فراج حسين. أصول الفقه الإسلامي. منشورات الحلبي الحقوقية. بيروت. ط1. 2002.

5– بسطامي محمد سعيد. مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث السعودية، ط3. 2015.

6– حسن الصفار. الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2007.

7– حميد لحميداني. النقد الروائي والإيديولوجيا. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 1990.

8–– الخَيِّر شوَّار مع "محمد ساري" في اليوم الأدبي. نقلا عن آمنة بن لعلى. المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف. دار الامل للطباعة والنشر. الجزائر. 2006.

9– أبو داوود سليمان. سنن أبو داوود/كتاب الملاحم. تح محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. لبنان.

10 ردة الله بن ضيف الطلحي. دلالة السياق. جامعة أم القرى. السعودية. ط1. 1423م.

11– سعيد يقطين. الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 2006.

12– سعيد يقطين. انفتاح النص الروائي (النص والسياق). المركز الثقافي العربي. المغرب. ط2. 2001م.

13– سعيد يقطين. تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط3. 1997.

14– عادل فريجات ـ مرايا الرواية ـ دراسات تطبيقية في الفن الروائي ـ إنحاء الكتاب العرب ـ دمشق ـ د ط ـ 2000.

15– عبد العزيز راجل، مفهوم الوسطية في الخطاب الإسلامي المعاصر، مؤسسة دراسات وأبحاث السعودية، دط. 2008.

16– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ـ مقاربة لغوية تداولية ـ دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان ـ ط1 ـ 2004 ـ

17– عبد الواسع الحميري. الخطاب والنص (المفهوم، العلاقة، السلطة). مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ط1. 2008 م.

18– أبو عبيدة مشهور بين حسن بن محمود بن سليمان، القول المبين في أخطاء المصلين. دار بن حزم. الرباط. ط4 1996.

19– علي حرب وآخرون. العنف الأصولي مواجهة السيف والقلم. دون دار النشر. لندن 1995.

20–عمر بن فينة، في الادب الجزائري الحديث تاريخيا. وأنواعها، وقضايا وأعلام، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط2. .1995

21–فاطمة الزهراء، قويدري. تجليات التناص الديني في الخطاب السردي الجزائري المعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط ـ الجزائر ـ ط1. .2020

22–فرج الحوار ـ التغير والقيامة ـ دار سراس ـ تونس ـ ط1 ـ .1985

23–محمد أبو زهرة. أصول الفقه. دار الفكر العربي. القاهرة.مصر.ط1. 2015. ص .204

24–محمد برادة ـ أسئلة الراوية ـ أسئلة النقد ـ مطابع النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط1 ـ 1996.

25–محمد بن شاكر الشريف ـ تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ـ مكتبة الملك فهد. الرياض. السعودية، ط1 ـ 2004 ـ

26–محمد سليمان أبو رمان وآخرون، وسائل منع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وفي الغرب، مؤسسة فريدريش إيبرت، مكتب عمان، .2016

27–محمد عبد الفتاح عمار. الخطاب الديني تجديد لا تبديد وتطوير لا تحريف. كنوز للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط1. 2017.

28–محمد مفتاح. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء المغرب. ط2. 1986م.

29– محمد رياض وتار . توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة . اتحاد الكتاب العرب . دمشق. دط 2002.

30–مرزوق العمري. إشكالية تاريخية النص الديني . الخطاب الحداثي العربي المعاصر. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة. الجزائر. ط1. 2012.

31–منى أبو الفضل، الأمة القطب نحو تأصيل مناهجي لمفهوم الأمة في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة . دط.1996 .

32–ناصر حامد أبو زيد. نقد الخطاب الديني. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. .2007

33–نصر الدين حامد أبو زيد. مفهوم النص. دراسة في علوم القرآن. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط5. .2000

34–نور الدين بن نعيجة، الشخصية الدينية والوعي الزائف في المتن الوطاري، تجليات الخطاب الديني في السرد الجزائري المعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر، ط1، .2020

35–واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986م.

❖ **الكتب المترجمة**

1–بول ريكور. نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى). ترجمة: سعيد الغانمي. المركز الثقافي العربي. المغرب. ط2. 2006م.

2–تزفيتان تدوروف. الشعرية تر شكري المبخون ورجاء بن سلامة . دار توبقال . الدار البيضاء . المغرب. ط2 1990 .

3–دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008.

4–سارة ميلز. الخطاب. تر عبد الوهاب علوب. المركز القومي للترجمة. القاهرة. مصر. ط1. 2016.

5–شارودو. ومنغونو. معجم تحليل الخطاب. تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود. المركز الوطني للترجمة. تونس. د ط.2008 .

❖ **المعاجم والموسوعات**

1–أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. القاهرة ط1. 2008.

2–ابن منظور الإفريقي. لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان. ط3. 1968.

3–ابن سيدة. المحكم والمحيط الأعظم. تح عبد الحميد عنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 2000. ج5.

4–مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. مصر. 1960.

5–الحديث عن أهل السنة والجماعة. مقالة مختارة من نسخة 30 أفريل 2012 . الموسوعة الحرة . ويكيبيديا . متوفر على الموقع: https://arm.wikipedia.arg./wiki/

❖ **الرسائل العلمية والمقالات الجامعية:**

1–بهجة أومودان. الاستعارة في الخطاب الديني (دراسة سميائية تداولية) . أطروحة لنيل شهادة دكتوراه. جامعة مولود معمري. تيزي وزو. 2018،2019.

2– سعيد عدنان تيتان. التطرف وعلاقته بمفهوم الذات لدى طلبة مؤسسات التعليم العالي في محافظة قلقيلية. رسالة ماجيستر. جامعة القدس المفتوحة. فلسطين. 2017 م.

3–شيخ أعمر الهوارية . تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية، أطروحة دكتوراه. جامعة السانيا. وهران . 2014 . 2015 .

4–نعيمة سعدية. سيمياء الخطاب الروائي ـ قراءة في الولي الطاهر يعود إلى مقامة الزكي " للطاهر وطار ـ مقال جامعة بسكرة ـ

❖ **المجلات والدوريات والحوارات:**

1– أحمد محمود سعيد ـ الاجتهاد في الإسلام... والسيرة النبوية الشريفة ـ صحيفة جَرَاسَا ـ عدد 28 أوت 2017.

2–النعمي حسن محمد. الخطاب الديني في الرواية السعودية. دار المنظومة. مركز عبد الرحمان السديري. ع35. 2012.

3–حوار: جازية سليماني مع الدكتور محمد ساري. الأديب الجزائري محمد ساري: النقد يتوجه بالأساس الى القُرَّاء وليس إلى المبدعين. مدونة الحوار. 16جانفي 2013.

4–حوار: نوارة لحرش مع محمد ساري. الكاتب يحب الإطراء ويمقت النقد. مجلة الدوحة. نسخة تجريبية.17 مارس 2021م.

5–خواجة محمد ياسر، تجديد الخطاب الديني في إطار المشهد التاريخي ومواجهة الآخر (الغربي)، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديموقراطي العربي ـ مصر ـ العدد الثاني ـ ديسمبر 2017 ـ

6– رعد حميد توفيق ونور علي إبراهيم، تجديد الخطاب الديني المعاصر، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول، 2017.

7–رضا عبد الواجد أمين، الخطاب الديني المعتدل ودوره في نشر قيم السلام والتسامح ـ مجلة البحوث الإعلامية ـ مجلة علمية محكمة تصدرها كلية الإعلام بجامعة الأزهر، القاهرة ـ مصر ـ العدد 53 ـ ج1 ـ جانفي 2020 ـ

8–زياد بوزيان. الرواية الجزائرية الجديدة، نقد الخطاب الديني، رواية الغيث لمحمد ساري أنموذجا.

9–عبد الباسط ضيف. بلاغة الخطاب الإقناعي عند محمد العمري. مجلة إشكالات اللغة والادب. مجلد 09. عدد 02 سنة 2020.

10–عمر بوذيبة. رواية الأزمة. المجلة الثقافية الجزائرية. 2014/12/26. متوفرة على الموقع:
https//thokofamag.com/?p=4229#:~ :text=

11– محمد الخطيب. أهمية الخطاب الديني المعتدل لمواجهة التطرف. صحيفة الرأي. عمان. تاريخ النشر 09 . 11 . 2017. 12:00 متوفرة على الموقع : http://alrai.com/article/10412578

12–محمد رزق شعير ونهى كمال سليم. أثر الخطاب الديني في التوعية الفكرية. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية. مجلة علمية دولية محكمة. ربع سنوية. المركز الديموقراطي للدراسات السياسية والاقتصادية. برلين. المانيا. عدد 10 نوفمبر 2019.

13–سامية داودي. الكتابة الروائية والاجتماعي المتحول. قراءة في روايتي "بوح الرجل القادم من الظلام" و "صمت الفراغ لإبراهيم سعدي. مجلة الخطاب. ع5. 2009.

❖ **المواقع الإلكترونية:**

1– الوكالة الجزائرية للإشعاع الثقافي. موقع فيس بوك. 22سبتمبر2019م

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=2580127622030319&id=103732496336523

2–غمدان الدقيني، الخطاب الديني في تاريخ الصراعات هو وسيلة السياسي، تاريخ الاطلاع 26 جانفي 2018 الموقع: http://www.infaaswtok.com

❖ **مقالات من الأنترنت:**

1–زكية حداد. المناص والمتعاليات النصية في أضمومة انكسار السراب . إنجاز الميلودي الوريدي . (مقال على النت). https://www.zelmajaz.info/wiki/

الفهـــــــرس

مقدمة	أ
الفصل الأول: مفاهيـــــــــــــم اصطلاحيـــة	
ماهية الخطاب	
مفهوم الخطاب	10
أنواع الخطاب	12
الخطاب الديني "المفهوم، الأهمية، الأقسام"	
الخطاب الديني	13
أهمية الخطاب الديني	15
أقسام الخطاب الديني	17
النص الديني والخطاب الديني	
مفهوم النص الديني	19
الفرق بين الخطاب الديني والنص الديني	20
مرجعيات الخطاب الديني	21
الفصل الثاني: الاستراتيجيات التواصلية للخطاب الديني	
أثر الخطاب الديني على المجتمع	
التقويم الفكري والاجتماعي	26
أسباب فشل الخطاب	29

التجديد والتبديد في الخطاب الديني	
تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر	30
الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف	33
الرواية الجزائرية والخطاب الديني	
الرواية الجزائرية الناضجة بعد الاستقلال	38
تجليات الخطاب الديني في الرواية الجزائرية	44
الفصل الثالث: تمظهرات الخطاب الديني في رواية (الورم) "لمحمد ساري"	
في رواية "الورم"	
قراءة في العنوان	49
تأثير العشرية السوداء على الرواية –الورم–	51
تفعيل الشخصيات للخطاب الديني ودورها في بناء الحدث	
الشخصيات الدينية والوعي الزائف	52
تأثير الخطاب الديني المتطرف على الشخصية السّوية وتحويلها	55
دلالة المكان وتأثيره في توجيه الخطاب الديني المتطرف	57
المرجعية الدينية في رواية "الورم"	
أشكال توظيف الرواية للنص الديني	62
أشكال توظيف الخطاب الديني	64
تبعات التطرف وتدنيس الخطاب الديني	66

الخـاتمـــة	71
المـلاحـــق	74
قـائمة المصادر والمراجع	85
الفهـــرس	92

الخطاب الديني بين التقديس والتدنيس "رواية الورم" لمحمد ساري أنموذجا

The religions discourse between sanctification and distortion The novel of "the tumor" for Mohammed Sari as a model

الطالبة: بوصلاح نور الهدى

المؤطر: أ. د/فاطمة مختاري

الملخص:

يمثل الخطاب الديني إشكالية محورية من إشكاليات الرواية الجزائرية في فترة التسعينيات، حيث استغل الروائي الوضع الجزائري المتأزم في تلك الفترة للتعبير عن رؤيته وأفكاره اتجاه استغلال هذا النوع الخطابي، وذلك لاختلاف الآراء حوله واختلاف أفراد المجتمع في فهمه، وقد عمدنا طرح إشكالية الخطاب الديني في هذه الدراسة لمحاولة إبراز شقّيه المعتدل والمتطرف مع محاولة شرح الاتجاهات المبنية على الجانب المتطرف منه حيث كانت الجماعات الإرهابية في هذه الرواية هي المتبني الرئيسي لهذا الموقف، لذا حاولنا كشف كيفية تعاملهم معه وكيفية إخراجه –الخطاب الديني– من منظوره الصحيح.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الخطاب الديني، الاعتدال، التطرف.

SUMMARY :

Religious discourse is a central issue in Algerian novels in 1990s, the novelist expressed his views and thoughts on this rhetoric during the Algerian crisis during this period, due to different views on it and different understandings of members of society, we specially raised the issue of religious discourse in this respect.
This study attempts to highlight his moderation and extremism try to explain the trend based on extremism, because terrorist groups are the main supporters of this attitude in this novel, so we try to reveal how they deal with them, From a correct point of view.

Key words : novel, discourse, Religion, Moderation، Extremism.